

حسَنُ الْمَهْدِيِّ الشِّرْازِي

الْعَوْنَانِيُّ دَمَّا

١ - الْأَقْصَى

٢ - إِلَاسْلَامُ إِلَى الشَّرْقِ

٣ - إِلَاسْلَامُ إِلَى الْأَشْرَقِ

الناشر:

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْجَسِيرُ
كُرَبَّلَاءُ

مَكْتَبَةُ لِسَانُ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

حسَنَ الْمَهْدِيُ الشِّيرازِي

لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
كَوْنِي مُحَمَّدٌ

١ - الاقتضاد

٢ - الاسلام اهل الشعوب

٣ - الاسلام الايفي الاسلام

الناشر:

الشيخ محمد الحسين الأعلمى
كتابات



الطبعة الأولى

مطبعة الغرب المحمدية - نيفط - ت: ٦٨٢

١٣٧٩ م - ١٩٦٠ م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلٰى أَعْدَائِهِمْ . أَجْمَعِينَ ..

كلمة الناتم

لقد تألفت التيارات الأجنبية ، على العالم الإسلامي منذ زمن قريب ، فوقف المسلمون بينها ، متأثرين بما تحمله من أفكار . وهكذا أخذوا يتضاربون بينهم على حسابها ، وذالك ما يدعوه إلى الرثاء ..

وكان من الطبيعي : ان يصبح عدد من المسلمين متذبذبين يأخذون قسمًا من الإسلام ، وقسمًا من المبدأ الذي تأثروا به ، ويخلطون الحديث بالطيب ، ويكونوا شيئاً ليدعونه باسم الإسلام ، والإسلام المتطور ، والإسلام يتبرأ منه كل يوم ألف مرة ..

وبعد ذلك ، أخذت تعزز المكتبات الإسلامية ، الكتب المنسوبة الأجنبية ، وكتب المنسوبين والدخلاء .

لذلك كله ، حُمِّم الواجب علينا اليوم : أن نضع بين يدي المسلمين ، كتاب : «الوعي الإسلامي» الذي هو أَحْوَج ما يكون إليه المسلمون اليوم ، إضافة إلى أنه إنحدر من يراعي وَاكب النهضة الحديثة في الصهييم ، ويسيئ تعلی ضوء الحقائق ، التي يلهمج بها عالم اليوم . وهو مؤلف من المواجهات التالية :

- ١ - الاقتصاد .
- ٢ - الإسلام أمل الشعوب .
- ٣ - لا سلام إلا في الإسلام .

محمد الحسين الأعلى

مقدمة

المبدأ - الذي ينشق منه نظام ، وعقيدة ومجتمع - هو مقياس عظمـة الشعب ، وحضارته ، وثراته : الفكرية والمادية ، ومدى خلوـده ، ومقاومـته للشعوب المناوـة له . . والمبدأ هو شارة الانتصار أو الفشـل في كل ميدان والمبدأ أعظم ثروـة يرثـها الجيل من آبـاؤه ، ويخلـفه لأـبنـاؤه .

أما الحضارة ، والثروـة : المادية والعلـمية ، فـأنـها تتبع المبدأ في تكونـها وبـقـائـها على تـقـدير وجودـها قبل ذلك .

فـلامـة التي لها مبدأ صـحـيح - تسـير على ضـوـءه - تستـطـيـع أنـ تـحـفـظ بـعـالـديـها ، من حـضـارـة وـثـرـة . . ! حـتـى ولو اـنـفـقت الـظـرـوف المـعـاكـسـة انـ تعـصـف بـهـا ، وتـبـدـأـ ثـرـتها ، وتدـرسـ حـضـارـتها وـتـقـوـضـ كـيـانـها منـ القـوـاعـد وـتـكـسـحـ كـلـ غالـ وـرـخـيـصـ ، فـسرـعـانـ ما تـسـعـيـدـ قـواـها المـسـلـوبـة ، وـتـلـمـلـ نـشـاطـها المـنـهـوبـ بـتـوجـيهـهـ منـ ذـلـكـ المـبـدـأـ - لـتـجـددـ كـيـانـها ، وـتـهـتـديـ إـلـىـ حـضـارـتهاـ مـرـةـ أـخـرىـ : فـتـعـودـ إـلـىـ مـقـرـهاـ الـآـمـنـ الـوـدـيعـ .

حتى ولو ابتدأت الامة بلا حضارة ، ولا ثروة مادية أو علمية ، فلن الهين عليها - بقيادة المبدأ الصحيح - : ان تكون الحضارة والثروة ، وكل شيء ، وان تتخذ البرامج - التي تساعد على التوسيعة والاخضاع ، وإصحاب الشعوب الأخرى في بوقتها بكل سهولة وبساطة .

كان الامة الاسلامية في ابتداء بعثة الرسول الاعظم ، لم تكن تملك حضارة ولا ثروة ، ولكنها حيث سارت على خطط الاسلام والقرآن حكمت في ربع المعمورة ، وأنشأت الحضارة والثروة الهاائلتين .

أما الامم التي تدين بمبدأ فاسد فإنها وان سُنحت لها الظروف المؤاتية وفراغ الميدان ان تملك الحضارة والثروة ، وتصل إلى الاكتشافات العلمية والمخترعات الصناعية . . لكنها ستنتهي في أشواطها إلى حروب طاحنة تُخسر فيها كل شيء حتى شخصيتها وكيانها .

والتأريخ يحذّنا : ان « الفراعنة » رغم حضارتهم وثرواتهم - الزاخرة ، كيف انحدروا أمام النبي العظيم موسى بن عمران ، وهو يشرح لنا إنهازام « بنى إسرائيل » تجاه الرسول الأقدس عيسى بن مريم ويبين لنا : ان « الفرس » و« الروم » وما شيدوا من حضارة وثروة ، كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ، في نفس المجاوز الشاسعة التي أرصدتها للوقوف في طريق ثوررة النبي الاعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . كما يحذّنا عن فشل المغول

و «اللويسين» و «النازيين» و غيرهم من الذين حفـل بهم التاريخ ، واـزدـهـرـتـ الحـضـارـةـ فيـ وجـوهـهـمـ ، وزـحـفـتـ الثـروـاتـ منـ اـكـنـافـ العـالـمـ كـيـ تـكـدـسـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ .. فـلـمـ تـغـنـ حـضـارـتـهـمـ وـأـمـوـاـهـمـ وـشـعـوـبـهـمـ مـنـ وـاقـعـ الـحـيـاةـ شـيـئـاـ .. وـذـهـبـ مـصـيرـهـمـ الـبـاـكـرـ عـبـرـةـ الـأـجـيـالـ .. حـيـثـ لـمـ يـكـنـ لـهـمـ مـبـدـأـ صـحـيـحـ يـسـيرـهـمـ وـفقـ نـظـامـ يـضـمـنـ لـهـمـ الـبقاءـ وـالـخـلـودـ .

أـمـاـ الاـشـتـراـكـيـةـ ، وـالـرـأـسـالـيـةـ الـدـيمـقـرـاطـيـةـ ، فـالـيـوـمـ يـتـجـولـانـ فـرـحـابـ الـحـيـاةـ ، حـيـثـ لـاـ مـبـدـأـ يـنـازـلـهـمـ الـمـيـدانـ ، وـلـوـ قـدـرـ لـلـاسـلـامـ يـوـماـ كـمـ هـوـ المـقـدـرـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ .. إـنـ يـقـبـضـ عـلـىـ زـمـامـ الـأـمـرـ ، وـيـمـسـكـ بـخـيـوطـ الـمـؤـامـرـاتـ الـتـيـ يـحـيـكـونـهـاـ ضـدـ الشـعـوبـ ، وـيـعـلـنـ لـلـعـالـمـ تـنـاقـصـاتـهـ مـمـ وـسـيـئـاتـهـمـ وـمـاـ يـنـطـلـونـ عـلـيـهـ مـنـ خـدـاعـ وـتـشـويـهـ لـلـحـقـائـقـ لـرـأـيـ النـاسـ انـ الـاشـتـراـكـيـةـ وـالـرـأـسـالـيـةـ كـيـفـ تـتـضـاءـلـانـ أـمـامـهـ وـتـهـافـتـانـ عـلـىـ أـعـتـابـهـ .. ثـمـ يـبـقـيـ تـأـرـيـخـهـمـ اـضـيـحـوـكـةـ الـقـرـونـ وـمـهـزـلـةـ الـمـتـفـكـهـينـ ..

وـالـمـسـلـمـونـ -ـ الـيـوـمـ -ـ يـمـلـكـونـ أـكـبـرـ ثـرـوـةـ مـفـتـتـةـ مـجـمـدـةـ ، وـلـدـيـهـمـ مـبـدـأـ وـمـنـاهـجـ لـوـ نـفـذـوـهـاـ لـأـجـرـىـ ثـرـوـتـهـمـ فـيـ مـسـالـكـ الـحـيـاةـ ، وـشـيدـهـمـ حـضـارـةـ نـادـرـةـ ، تـنـيـسـرـ عـنـهـاـ الـأـنـظـارـ وـالـأـفـكـارـ .. كـمـ جـرـبـوـهـ مـنـ قـبـلـ -ـ غـيـرـانـ ذـلـكـ الـمـبـدـأـ لـاـ وـجـودـ لـهـ فـيـ وـاقـعـ الـحـيـاةـ ، وـإـنـمـاـ هـوـ مـذـخـورـ فـيـ بـعـضـ الـكـتـبـ وـالـصـدـورـ .. وـسـائـرـ الـمـسـلـمـيـنـ يـعـتـبـرـونـ مـسـلـمـيـنـ لـأـنـهـمـ يـقـولـونـ :ـ أـشـهـدـ أـنـ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ.

أما الأفكار الإسلامية ، فيعرفونها فلسفة مثالية فارغة ، ليس عليهم
ان يدرسوها ، وإنما ذلك شأن الفلسفه خسب .. وأما الشعائر الدينية
العامة ، فيزعمون أنها من وظائف رجال الدين .. وأما الفرائض الدينية
فيؤجلونها إلى أوان الشيخوخة والشيخ ، والشاب ما دام في غضون
الشباب ف (كان الله غفوراً رحيمـاً) ... وأما القسم الآخر من
الإسلام ، فلفق من قبل اناس فдумين .. وأما الاقتصاد والاجماع
والسياسة وما شاكها ، سفلاً يربطها إلى الإسلام ، فيبينها وبين الإسلام
شقة واسعة ، ومن نسبها إلى الدين فقد ابتدع في الدين ، لأنها اطروحة
مدخلة في الإسلام ولديست من الإسلام .

والبعض الآخر من المسلمين الذي عرف شيئاً من الإسلام فيحسب
أنه لا ينفعه في القرن العشرين ، وإنما كان من صالح القرن العاشر .
هكذا الاستعمار الكافر صور الإسلام ضحلاً هزيلاً في أعين المسلمين
حتى أصبح ذلك طابعهم الأصيل ، والمستوى العام لوعيهم الإسلامي ،
وكذلك أصبحوا فاقدين للفكرة الإسلامية الكلمة . ولاية فكرة أخرى ،
وإنما أمسوا أذناباً لمن يسودهم ، وعيالاً على من يكفلهم ولم يعرفوا غير
هذه العيشة المضنية ، التي أسهر الاستعمار على أن يقييمهم عليها ، فهم يبحثون

عن يتبعونه ولا يطلبون من يتبعهم ، فكان طبيعياً ان يتلونوا كل يوم بلون وان ينجرفوا مع كل تيار يمر ببلادهم لأنهم ذلك البدأ الذي يسير روتهم ويبني عليها حضارة وكياناً .

اما سياستهم الاقتصادية ، فانها - بحكم الاستعمار السافر او المتلصص في بلادهم - رأسمالية ، لم تزح حزح منذ ان وضع المستعمر الكافر قدمه في بلادهم ، . . . ولقد حاول البعض : أن يوفق بين احكام الاسلام وبين القوانين الرأسمالية حتى وصل الى حد الشعور بعجز الاسلام عن ايجاد المعالجات لمشاكل المتتجدة ، ثم حكم بضرورة اتخاذ المعالجات الرأسمالية كاهي الان - دون حاجة الى محاولة التوفيق ... ولا ضير في ترك الاحكام الاسلامية لأنها (في نظره) قاصرة عن مجاراة الرأسمالية والاشراكية .

ذبي القسم الآخر حتى اليوم يعتقد امكان التوفيق بين الاقتصاد الاسلامي والرأسمالي ، . ولكن سينتهي إلى ما انتهى إليه صاحبه وسوف يفشل في هذه المحاولة .

كما ان جماعة من المفتونين بالنظام الاشتراكي ، اطلقوا الاحكام الطائشة باتفاق الاقتصاد الاسلامي والاشتراكية ، على معالجات موحدة لمشاكل الاقتصاد ، واتخذوا من علي ظليلة وابي ذر بطلين إشتراكيين . .

والواقع : ان هؤلاء اناس لم يعرفوا الاسلام - رغم انهم نشأوا في أحضانه - وافتقت الرأسمالية أو الاشتراكية مع ميولهم ، ومصالحهم الفردية ، فحاولوا ان يبرروا موقفهم ، أو يحرروا الآخرين معهم ، بمثل هذه الاكاذيب ، التي تنم عن الضمائر العفنة ، والعقول الآسنة القدرة .

وإذا كان ذلك مبلغ المسلمين من الاقتصاد الإسلامي ، وموقتهم من المبدأ الإسلامي .. فعنده : ان لا وجود لمبدأهم في واقع حياتهم ، ومتى كان ذلك فلن يسودوا منها تعددت منابعهم ، وحضارتهم المدنية ، لأنها لاتتجدد قيادة تسيرها وفق نظام منتج ينقد هم من الجهل والفقر والتقشف ويدرأ عنهم المأساة والويلات . -

فتى ضاقوا بهذه الحياة النكدة التعيسة ، عليهم ان يستسلموا المبدأهم
وينطلقوا في الحياة وفق أوامره ورؤاه .

من هنا كان الواجب يحتم علينا .

١ - أن نستعرض صوراً واضحة عن الاقتصاد في النظام الرأسمالي والاشتراكي ، وننوه إلى تناقضهما مع الاسلام ، في النقاط المركزية التي لا تقبل التأويل والتزوير . ليعلم المأجورون والمغفلون ان الاسلام ليس

رأسماليًا ولا إشتراكياً ، ولن يتفق معها أبدًا ، إضافة على ما فيها من
أخطاء .. وخطاء ..

٢ - ان نفصل شطراً عن الاقتصاد الإسلامي وشرح كيف
أنه يستقل بتنظيم الحياة الاقتصادية ، ويعالج المشاكل الحاضرة ، وفق
نظام دقيق يرفع المستوى الاقتصادي للمجتمع ، إلى درجة لا يمكن ان
يتقارب بها المجتمع الاشتراكي أو الرأسمالي .

كما سنبحث في الجزءين الآخرين من هذا الكتاب عن جانبيين
آخرين للإسلام لنرفع الستار عن وجوه المتنطعين والمستغلين ، الذين يغالطون
ضحاياهم ثم يسرقون ركائز الإسلام ليتبادروا بها ويبعوها على الإسلام ،
فيجلبوا بذلك أكبر عدد ممكن من المؤمنين ، من حضائرهم المقدسة ،
إلى مساقط المجرمين .

السيد حسن الشيرازي

كرباء

١٢٧٩ / ٨ / ١٧

الاقتراض

• • • ولا تنس نصيبك من الدنيا • •

القرآن العكيم

• • • من لا معاش له ، لا معاد له

رسول الحياة

ليس من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه

زبن العابدين

الإهداء

إلى القائم المؤمل : المهدي الموعود بجل الله تعالى فرجه .
أرفع هذا الكتاب الصغير . . الصغير . . تعبيراً عن ولائي
الكبير . . الكبير . .

حسن المهدي

تَصْدِير

الاسلام فكرةً واحدةً ، عن الكون والحياة والمجتمع . . . فهو يتحدث عن علاقة الكون والحياة بالانسان ، وعلاقة الانسان بالكون والحياة ، وعن علاقة المجتمع بالفرد ، وعلاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة المجتمع بالمجتمع ، وعلاقة الفرد بالفرد . ثم . . . علاقـة المجتمع والفرد مع الله . . . فيعطي كل واحد من هذه المواضيع حقه من الدراسة والتحقيق ، ويستنتج من كل ذلك ، ثم يقرر أحـكامـه عليهـا بـكـل دـقـة واتـقـان . . .

وبذلك يتميز الدين الاسلامي عن الـأـديـان ، والـمـبـادـىـءـ والـدـسـائـيرـ التي تعنى بـجـانـبـ ، وـتـهـمـلـ جـوانـبـ .

والـدـينـ بـرـنـامـجـ الـاـنـسـانـ فـيـ الـحـيـاـهـ ، وـخـطـطـهـ وـوـظـائـفـهـ فـيـ مـسـيرـتـهـ الـكـبـرـىـ إـلـىـ دـارـ الـحـلـدـ وـالـمـقـامـ . . . تـبـعـاـلـدـوـاعـيـ فـطـرـتـهـ ، وـطـبـائـعـ الـأـشـيـاءـ الـتـيـ تـسـيرـ مـعـهـ . . .

وـإـذـاـ كـانـ الـاـنـسـانـ وـالـأـشـيـاءـ ، وـحـدـةـ مـتـكـامـلـةـ ، فـلـاـ يـكـونـ الـدـينـ إـلـاـ خـطـةـ وـاحــلـةـ تـلـامـ غـرـائـزـهـ وـأـشـواـقـهـ ، وـتـسـابـ عـوـاطـفـهـ

وميوله الأصلية ، ضمن تحديد وإطلاق يتناسب والمعركة الحامية بين العقل والنفس .

ومتي كان الدين هكذا . . فلن الصعب جداً إنزعاع إقتصادياته من غيرها ، فما يتغير اهلاً باحث إلا تزدحم عليه الأفكار وكلها من صميم الموضوع . . وما ان يجد حيلة إلا ان يفكر طويلاً ، ليلتقط الأقرب فالأقرب . .

وقد حاولنا : ان ننظر إلى الاقتصاد الإسلامي ، من الزاوية المادية لينسجم مع الاقتصاد الاشتراكي والرأسمالي الماديين ، حين التقارن . . وأهملنا النواحي المعنوية - موقتاً - لغير إشعار .

وإconomicsيات الإسلام تدور حول فكرة واحدة هي : تكون مجتمع متقارب الطبقات . . اعني تأمين المصالح العامة : إلغاء الفقر والمرض . . ولا يفتر الغني ، بل يعني الفقير .

وإconomicsيات الإسلام فكرة بين الاشتراكية والرأسمالية - أو غيرها تماماً - سبقتها الاشتراكية ففشلت ، وتأخرت عنها الرأسمالية فسقطت .

وهذا الدستور هو النظام الوسط . . يكون حجة على الناس . . ومهماً على النظاريين يكشف ما فيها من مروق وجحود .

طبيعة المال

طبيعة النروءة ، ان تكدرس في جانب ، وتحسر عن
جانب . .

بعاً لاختلاف الاعمال والافكار والاساليب - إلى حيث ترى الكلب
المدلل يرفل في الحرير ، ويمرح في ضياء الكهرباء ، وينعم بأحدث المدافئ
والمكيفات ، في الوقت الذي نجد الطفل البريء - خلف سياج البيت نفسه -
ينفض حياته ، تحت وطأة الجموع ، لفحة الهجير ، أو لدغة الثلوج . .
وفي ذلك فساد المجتمع . خيمتاً تكدرست نروءة فائضة ، لا بد ان تبحث عن
مسارب ومصارف ، فتأخذ طريقها الى شهوات الفرد ، واحلامه
الفاجرة . . عند ذلك ينفلت التوازن عن المجتمع - ولا تستطيع ان تعيده
السلطة والنظام - ويوزع على حلقات المترفين الجشعين . . وفريق الامعات
والطفيليين وقافلة الرقيق والمخاسين . . (١) ووكل الأبطال الذين
يكيدون لهؤلاء جميعاً . . ثم يأتي - بعد ذلك دور السرقات ، والفقر

(١) ولعل أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤمن الى ذلك ، حيث يقول :
« مارأيت نعمة موفرة الا و الى جانبها حق مضيع ، وما جاع فقير الا
بما متع به غني » .

والجهل والارض . . . والابات المتطايرة مع الريح في كل مكان .
!! مـ الثورات !!

فهذه مشكلة عالمية ! يجب معالجتها من قبل المسؤولين .

الوصفات

وقد حاول علاجها الرأسمالية . الاشتراكية . الشيوعية . الاسلام
وقام كل منها بدور ايجابي جريء ! فلننظر : من التائه ؟
ومن المصيّب ؟



الرأسماليون

فلسفة الرأسمالية:

تتركز فلسفتهم الرأسمالية الديمقراطيّة العامة ، على الإيمان بالفرد ومصالحه الخاصة . . . ويعتقدون : ان توفير مصالح الأفراد ، خير ضمان لتعديل المجتمع ، وحماية ب بصورة طبيعية ، فالمجتمع ليس إلا الفكر العامة عن الأفراد و بتموين مصالح الأفراد ، يكون تأمين مصالح المجتمع .. أما الدولة فهي عميلة المواطنين و حاميهم ، و نائبهم في القيام بخدماتهم العامة . . .

هذا هو الخط العريض للنظام الرأسمالي الديمقراطي .
يلتدىء من الإيمان بعصمة الفرد و حاجاته . . . وينتهي باعلان الحريات الثلاثة : السياسية ، الاقتصادية والفكرية (١) .

(١) هذه الفلسفة - كما تراها - فلسفة مادية كافرة لا تؤمن إلا بالفرد القائم بذاته ، و المنفصل عن الله والدين والآخرة ، كلاشتراكية =

- أما الحرية الدينية فهي فرع من فروع الحرية الفكرية العامة ،
التي يعني بها : أن يعيش الناس أحراً في أفكارهم وعقائدهم .

= تماما - غير أنها تجعل الفرد قاعدة يتركز عليها النظام ، وتعرف الدولة
سلاحا ينتخبه الفرد للدفاع عن حقوقه ، ويكون المال مقياس
قيمة الفرد والسلع والخدمات ، وحجر الزاوية للجتماع في جميع
المجالات . . .

والاشراكية تعتبر الدولة قاعدة ينشق النظام منها ولها ، والشعب
جهاز مسخر لخدمتها ، وحجم الانتاج مقياس قيمة الفرد والعمل .
وحجر الزاوية للدولة !

ولكن الاشتراكية افجرت في مجتمع متذبذب : مضطرب اليمان
والعقود . . فاستطاعت أن تعلن : إلحادها الفاجر بكل صراحة وواقحة
أما الرأسمالية الديمقراطية ، فقد ولدت في أحضان الكنيسة والمؤمنين بها
- وإن كانت الكنيسة يومذاك ، عجوزاً موهون القوى ، منهمك الأعصاب -
غير أنها كانت تحتفظ ببيتها المنخورة وقارها التليد . . فرأى قادة
الرأسمالية : أنها ليست بحاجة إلى إعلان ماديتها ، ما دامت أكاديميا
تنفذ في مختلف الميادين ، دون أن تنكرها الكنيسة والمخالصون لها ولا يعوزها
ان تثير ضجة الكنيسة وهي تسيرها في كل مجال .

و لسنا بصدده عرض النظام الرأسمالي الديمقراطي ، بما فيه من حريات تؤول إلى عبوديات . وإنما نبحث عن الحرية الاقتصادية . بهذا التفسير الذي قرر - الشعوب - المأسى والويلات .

ومتى استعرضنا النظام الاقتصادي لدى الرأسماليين وجدنا الاقتصاد لديهم مجموعة مباحث عن :

- ١ - حاجات الانسان .
- ٢ - وسائل إشباعها : (السلع والخدمات) .
- ٣ - كيفية توزيع وسائل الأشباح على الحاجات (١) .

== وقد علمت الكنيسة إلحاد الرأسمالية الديمقراطي ، ولكن لم تعلن حرباً عليها ، لأنها شلت عن المقاومة والاصطدام ، بعد ما تلاحت علىها ضربات الشعب ونقمته الثائرة وعرفها الناس دائرة التجسس والاغتيالات والتعذيب والاستغلال .

(١) هذه المباحث الثلاثة ، تعتبر فصلاً واحداً في الاقتصاد الرأسمالي يسمى بـ « مشكلة الندرة النسبية للسلع والخدمات ، بالنسبة للمحاجات » . ويتوالى هذا الفصل ، فصلان آخران :

-
- ١ - قيمة الشيء المنتج .

حاجات الإنسان

يقررون أن للإنسان حاجات إلى أشياء شتى ، فلابد من إشباعها ، بالنسبة إلى جميع الأفراد . وهذه الحاجات :

١ — قد تكون محسوسة ملموسة للأفراد ، ك حاجتهم إلى الطعام والكسوة والمسكن

٢ — تكون محسوسة غير ملموسة ، ك حاجة الإنسان إلى الطبيب والنظام

وبعد ذلك تنقسم الحاجات إلى :

١ - الحاجات الضرورية للإنسان ، والتي لا بقاء له إلا باشباعها ،

٢ - الشمن ، والدور الذي يقوم به في الانتاج والاستهلاك والتوزيع .

ولكن حيث أن في هذين الفصلين يبحثون عن الحقائق الواقعية ، التي لا يؤثر فيها النظام والقانون ، وإنما يصلحان كباحثة تمهيدية لسن النظام حول الفصل الأول : « مشكلة الندرة النسبية لسلع والخدمات بالنسبة للمحاجات » لذلك لم ن تعرض لها ، وإنما كتبينا بالبحث عن الفصل الأول فقط ، وما يستلزم من نقاط

ك حاجته الى الغذا ، والكساء والدواء . . .

٢ - الحاجات (الكمالية) والتي تزايده وترتقي مع المدنية
والحضار . . . ك حاجة الإنسان الى السيارة . القصر . الخادم . الفاكهة
العطور . المنازم . . . (١) .

هذه الحاجات تنمو وتتضاعف . ولا يمكن اشباعها اشباءً كلية ،
حتى ولو وفرنا خيرات العالم لفرد واحد . وبما أن هذا النظام مادي
ديمقراطي ، يرى لكل فرد الحق في أشباع حاجاته ، باقصى ما يمكنه
السيطرة على وسائل الاشباع ، وبأي اسلوب يستطيع به من تحصيلها .

وسائل الاشباع

أما وسائل اشباع هذه الحاجات ، فيطلق عليها - عند الاقتصاديين
الرأسماليين - اسم (السلع) و (الخدمات) فالسلع وسائل الاشباع
للحاجات المحسوسة الملموسة ، كالقمح ، الارز ، الرمان . . . والخدمات
وسائل الاشباع للحجاجات المحسوسة غير الملموسة ، كالمهندسة . التطيب
. التعليم . . .

(١) انهم يطلقون (الحاجة) على (الرغبة) وكل حاجة رغبة
وكل رغبة حاجة . وقد جرينا على نفس الاصطلاح ، حرصاً على طهارة القلم

أما الذي يجعل السلع والخدمات صالحة للاشباع فهو - عزدهم -
(المنفعة) حتى إذا توفرت في شيء جعلته صالحة للاشباع ، فالشيء النافع
- اقتصاديا - كل ما يرغب فيه ! سواء أكان مضرًا أم نافعًا لدى الرأي
العام ، وفي نظر الدين والأخلاق ، فإنه يعتبر نافعًا ، ما دام هناك
راغب يبذل بازاته الثمن ، فـ (الحمر) سلعة نافعة - من الوجهة الاقتصادية
الرأسمالية - كما أن (الزنا) خدمة نافعة في نظرها - و (الخانات)
و (المواخير) لا تختلف - عن المطاعم والمستشفيات . . .
فكلاهما يشبع الحاجات ، ويؤدي إنتاجاً شريفاً - في رأي الاقتصاد - .

فالاقتصادي ينظر إلى الأشياء من الزاوية المادية فحسب ، ولا يطال
على المجتمع من فوق ، حيث يشرف على الجميع في نظرة واحدة ، حتى
يستطيع من مقاييسه المنافع بالمخاسد ، ليضع كل شيء في موضعه .

هكذا يرى الراقصة والمعلمة تخدمان الاجتماع ، وتنتجان ما يجب
راغبًا يبذل له الثمن ، كما يوقف المقامر بجانب الفلاح ، فكلها ينتج ما
يشبع رغبة . . . وبعد ذلك فلا يفرق بينها شيء . . .

تلك هي الحاجات ووسائل الإشباع . . غير ان الاقتصاد
الرأسمالي يواجه - الآن -

مشكلة الفقرة

النسبة للسلع والخدمات بالنسبة إلى حاجات الأفراد . وما دامت السلع والخدمات لا تُشبع حاجات الجميع فالنتيجة الختامية لها : أن تُشبع حاجات الأغنياء بأكبر قدر ممكن من وسائل الأشباع ، بينما تبقى حاجات القراء معطلة يعوزها حتى الخبز . . . وإذا كانت وسائل الأشباع أقل من الحاجات ، فمن الطبيعي أن يكثر الطلب ويقل العرض ، فترتفع الأسعار . . وتقتصر عنها الأيدي الفقيرة - من هذه الناحية أيضاً - فيتضخم عمدًا ضحايا الخبز ، وتشيم الجرائم والوفيات والمرض في سبيله . . .

فلا بد - إذن - من تقرير مصير القضاء على هذا القصور الاجتماعي وذلك لا يكون إلا بتنمية جهاز الانتاج ، حتى توفر السلع والخدمات وتوسّع الجميع .

وتُشبع حاجات الأغنياء إشباعاً كلياً ، عندما تُشبع الحاجات الأساسية - فقط - للقراء . . . وذلك أقصى ما يبلغه الاقتصاد !

اطلاق التجارة

أما توفير السلع والخدمات . فلا يكون إلا باً طلاق التجارة الحرة في الأسواق العالمية ، والموضعية ، وشئى مجالات الاقتصاد .

ذلك ان المصلحة العامة الفردية أقوى حافز للتفكير ، والعمل ، من أجل تضييم حجم الانتاج ، وتحسينه مع تخفيض المصروف والنفقات فالانسان إذا علم : ان فائض أعماله لا تقتضي منه ، ورأى منافسيه قد احتكروا أكبر بروة راية ، نتيجة الدأب المتواصل ، عبر الشهور والسنين سوف تعصف في دمه النخوة ، والغيرة على المال ، ولا يستقر قلبه ، ونفسه ، وشهوته ، حتى ينزل فوق المستحيل ، ويفرغ إمكاناته ومواهبه حتى الهمالة . . . ليس بق أفرانه في كل مجال ، فيصبح أوحداً : لا يدانيه أحد . . . وذلك لا يكون إلا باً شغال أكبر عدد من العمال ، وإستخلاص الطاقات المعطلة .

فيكون في إطلاق التجارة الحرة علاج لـ :

١ — مشكلة الندرة النسبية للسلع والخدمات ، بالنسبة إلى الحاجات العامة .

٢ — مشكلة الأيدي العاطلة والفقر الناتج من العطل .

٣ - مشكلة الطاقات المعطلة (١) .

(١) فان أكثر طاقاتنا اليوم معطلة لا تستغل ، فنحن لأنزرع أراضينا ، ونحفي المياه التي تنحدر إلى بلادنا ونحرسها عن أن تهدى إليها يد حتى تصب في البحار .. كما أننا لا نعرف أن في استطاعتنا أن نزرع الجو وزرع البحار .. كما لا نعرف أن لدينا خامات يمكن تحويلها إلى منافع فوجه الجهد والأموال إلى إفناؤها . زاعمين أنها أو ضار وأقدار .

ونحن نكتفي الآن بهذه الأمثلة :

الأراضي المصرية الصالحة للزراعة تربو على ١٢ مليوناً فدانًا ! وقد ظهر أن تحت النيل نيل آخر ، يحوي من المياه المخزنة ، يكفي لمائة فيضان .. والعمال الذين لا يجدون العمل يعدون بالملايين .. وبعد ذلك فالأراضي المزروعة لا تزيد على ستة ملايين أفدنة . أما الصحراء الشرقية والغربية الواسعة ، فقد اهملت مسرحاً للشمس وملعباً للأعاصير . والنيل يبقى للفيضانات العارمة ، والآيدي العاطلة تدخل للسرقات والمظالم .
إكتشف أحد علماء «الالمان» : ان في استطاعتنا تخليص عنصر «النيتروجين» وتحويله إلى «نيترات» للتسميد .. ومنذ خمسين عاماً أخذوا بزرعون الجو فزاد محصول «القمح» عندهم بـ $\frac{1}{2}$ دار النصف أو الثلثين او كذلك الحبوب الآخر .

=

خمسة الموارد

كما أن التنافس التجاري كفيل بتحسين الانتاج ٠ ١ ! فكل

= ان النبات يتعدى بضوء الشمس و على الطبقات العليا من البحار إلى حيث ينعد ضوء الشمس تتكون نباتات « ميكروسكوبية » وإلى جنب هذه النباتات حيوانات تأكلها ، وتعيش بها . وهي حيوانات صغار تأكلها حيوانات أكبر منها ، ثم يتدرج سلم الأحياء إلى حيوانات تأكلها الأسماك . لذلك أخذوا يسمدون البحار بد « النيترات » - كما يسمدون الأرض - كي تجد النباتات الميكروسكوبية الغذاء في هذا السباد ، فيسرع نموها وتتكاثرها . ثم تتکاثر عليهما الحيوانات الصغيرة ثم الأسماك و « الروث » ليس إلا العصف المأكول و « الفيبر » الآن يتخذ من نفس الروث الذي نفرقه في الأتون والتنور ، فهو ليس إلا النبات المحطم ، الذي تكفل الحيوان بإعداده لصنع الفيبر .

وخره الإنسان مخصوص لدينا بالتسميد ، والآن يستخرج منه نوع من « الصابون » و « السجاد » وبعض الأدوية الكيميائية . وجئنا بهذه الأمثلة كشواهد على أبعاد الطاقات المعطلة التي استخدمناها التنافس التجاري الحر .

شركة ، أفراد يسعى في تحسين بضائعه ، ليجلب رغبة المستهلكين ، فيصرفها بأبلغ مرت .

و كذلك يتم توفير الانتاج ، و تحسينه !!

ميكانيكية الشحنة

والثمن - بواسطة التجارة الحرة - يمارس شوطاً ناجحاً في معالجة المشاكل الآتية :

- ١ - تعيين نوع الانتاج .
- ٢ - تقسيم الأعمال .
- ٣ - تحديد الأسعار .
- ٤ - توزيع البضائع على المستهلكين .
- ٥ - توفير أجور العمال والمستخدمين .

تبيين نوع الانتاج

أما الدور الذي يقوم به جهاز الثمن ، في تعيين نوع الانتاج ، وكميته ، فهو : أن الحافز الرئيسي للمنتجين في القيام بأي مجهود ، أو أية تضحيه في سبيل الانتاج أنها هو مكافأته بما يصلح للأشباع ، أو الحصول

على الثمن - على ما هو الغالب - ومئى كان . الثمن العامل الرحيم في الأنتاج ، فمن حرية المستهلكين ان لا يبذلو الثمن إلا بازاء نوع خاص ، وكمية معينة من الأنتاج - فمثلا - أن المستهلك الذي يرغب عن « التبغ » يتمنع عن شرائه ، ويعوض أبواله بالفواكه - مثلا - وإذا أضرب المستهلكون جمِيعاً عن استهلاك التبغ . وأقبلوا على استهلاك الفواكه ، كان من الطبيعي أن يقف أنتاج التبغ ، ويهمه المنتجون أيضاً ، عندما يتضاعف نشاطهم على أنتاج الفواكه ، من تلك الأنواع الخاصة التي تتواجد اليها الرغبات وبتلك الكميات المعينة التي يستهلكها الناس .

هكذا يقرر المستهلكون كمية الأنتاج ، ونوع الأنتاج ، ويفرضون على المنتجين تعديل نشاطهم وفق رغبات المستهلكين . . وهذه العمليات تنفذ على أثر المجازات من جهاز الثمن .

تقسيم الوعمال

ومن بنود الاقتصاد الرأسمالي : لا يأكل الا من ينتج فعلى الفرد أن يسعى في اشباع حاجاته . ! سوى العجزة وحب الذات يقرر نظاماً طبيعياً يحفز كل فرد على اطلاق غرائزه وميلوه ، بالتنعم بأكبر قدر من المتع ، وهو لا يتوفّر الا عن طريق العمل . . فهذان العاملان يفرضان

على المرء الدُّور في العمل والتفكير المتواصلين ، لازادة كمية الاتساح ، وتحسينه ، مع تقليل تكاليفه وفقاته . . وهكذا ينبع بقسم من الأعمال حسب ما تسمح له مواهبه وامكانياته .
كذلك يقوم كلَّ فردٍ من الأفراد بما يستطيع من العمل ، كما يستوفي بقدر عمله من الأرباح .

خمر سر الدُّور

للثمن - في نظر الاقتصاد - مكانة آلية في الاحتفاظ بالمستوى الطبيعي للبضائع بالنسبة إلى القيمة ، حتى لا يدع المستهلكين حرية تحديد الأسعار حتى لا يرفعوها بوحي من نزهم القاسي إلى أرفع مستوى !
وذلك أن المادة الانتاجية متى قلت تكاليف إنتاجه وتحسينه ، كثر عرضه على المستهلكين ، وإذا ارتفع سعره عن مقدار إشباعه للحاجة مع الاحتفاظ بكون الحاجة ضرورية أو كالية فكل الراغبين يمتنعون عن استهلاكه إلا بالقدر الضروري ، فلا بد للمنتج من أحد مصيريْن بالنسبة إلى الباقي ، إما أن تبقى بضاعته من دون مستهلك حتى تبور ويخسر ، أو ان ينخفض السعر حتى يصل إلى المستوى العادل بالنسبة إلى العرض والطلب . . ومتى علم المنتج التنافس التجاري الحر ، ورفض المستهلكين بضاعته إلا بالسعر المعين ،

بادر إليه قبل أن يلحقه الخسران ١١٠
كما أن قلة العرض وكثرة الطلب للمادة الاستهلاكية تدعوان إلى
ارتفاع السعر ليبلغ مستوى الطبيعى العادل ، بالنسبة إلى الحاجة الحادة التي
تشبعها هذه البضاعة ١١٠

توزيع البضائع

وحيث أن المنتوجات العامة لا تسع لإشباع الحاجات العامة ،
والثمن معدل المجهودات ١١ فالإنسان لا يستطيع أن يحصل على الشمن
إلا بمعدل مجهوداته الإنتاجية ، كما لا يقدر على استهلاك المواد إلا بمقدار
ما يحصله من الشمن ٠ ٠

فهو في الحقيقة يستبدل مجهوداته ، بمجهودات غيره وبحققى هذا
النظام لا يستطيع أحد أن يستهلك أكثر مما ينتج ٠
هكذا يقدر الاستهلاك بمعدل الإنتاج حتى توزع البضائع على
الجميع ، ويتمكنوا من إشباع حاجاتهم ٠

محمد الدهور

والثمن هو القاعدة التي يتواضع عليها المنتجون الفرديون أو الشركات مع العمال والمستخدمين ، بما يضمن لهم اشباع حاجاتهم !! فالعامل ، أو المستخدم لا يقوم الا بعمل يتکفل اشباع حاجاته الأساسية - في المهد الأدنى - حتى لو أراد الرأسمالي لاستخدامه بأقل من ذلك ، أضراب عن العمل ، والتنافس الحر يحفز المنتج الآخر على استخدامه بما يتمتعان عليه ، فيفصل الرأسمالي الأول عن حلبة الانتاج ، ولا تمهد له طريق العودة الى زمرة المنتجين الا بعد ان يوفر للعامل من الاجور ، ما يستقل بالترفية عن حاجاته . . .

غير ان الاجور ربما تختلف تبعاً لاختلاف الجهد الذي يبذله العمال والمستخدمون ، حسب القوانين الطبيعية للعرض والطلب - فشلا - ان الاعمال التي ينفقها الكادحون من العمال كثيرة العرض ، لكثرتها العمال ، وكثيرة الطلب لكثرتها المنتجين - أيضاً - ، لذلك تقابل بأثمان ضئيلة . أما الخدمات التي بتقدم بها المهندسون فقليله العرض لندرة المهندسين وكثيرة الطلب ، لازدياد عدد المنتجين الذين تعوزهم المهندسة ! لهذا تعادل باجور طائلة ، حتى ان ارباح المهندس تدر عليه الموارد التي تشبع

حاجاته الأساسية ، وشطرًا من حاجاته الكمالية ، بينما العامل لا يوفق إلا لケف حاجاته الضرورية بكل قنوع وتقدير .

هذه هي الخطوط العريضة لفلسفة النظام الاقتصادي الرأسمالي الديمقراطي ! التي طالما تبجح بها الكثيرون ، رافعين عقيرتهم الحشناه ، قبل أن تقبض على دست الحكم وتظفر بسيادة الشعوب ، وما إن فتحت طريقها إلى مخطط الحياة ، إلا وانكشفت عن سيئات وأخطاء = إستمرت حتى اليوم لعنة الشعوب ، رغم التعديلات التي تواردت عليها ، من قبل كل مQNن ومفكر . .

و سنلخ - الآن - إلى فشل هذا النظام ، و سلبياته ، وأخطائه المفضوحة ، وما فيه من عجز ومناقضات . .

فشل الرأسمالية

إن مهمة النظام الاقتصادي - سواء أكان رأسماليًا ، أو إشتراكياً ، أو اسلامياً - هي الغاء الفقر عن المجتمع ! لا ازدياد حجم الإنتاج ، ولا توفير ثروة البلاد ، ولا أي شيء آخر ، فإنها تختص علم الاقتصاد ! أما النظام الاقتصادي ، فهدفه الوحيد اشباع حاجات الأفراد .. فرداً فرداً . ! فهو مخصص بمكافحة فقر الأفراد ، لا فقر البلاد ، أو الأسواق

فالفرد فقير يطلب الخنز ! لا البلاد ، ولا المجموع ٠ ٠ ٠ والقضاء على الفقر ، هو مقياس النجاح في النظام الاقتصادي ! كما أن بقاء الفقر ، أو استفحاله في المجتمع ، أكبر دليل على فشل ذلك النظام الاقتصادي السائد ٠ ٠

ولكن الاقتصادي الرأسمالي لا يهمه فقر الأفراد ، وما يصيّبهم بعد ذلك ، وإنما يختصر جهوده لمحاربة فقر البلاد والمجموع ، أما الفرد فالنظام غير مسؤول عنه ، مادامت ثروة البلاد مكفولة ، والانتاج متوفّر فعليه : أن يعمل (١) ليتّبع . فيا كل (٢) ٠

(١) - لقد كانت البلاد الرأسمالية في انتعاش اقتصادي ، قبل تحرّم الرأسمالية فيها ! وفي غضون تطبيقها أصيّبت البلاد بصدمة اقتصادية هوجاء جعلت عدداً هائلاً من الفلاحين فقراءً وتسوّلين ، حتى اضطررت البلاد بهذا الفقر المتزايد فالتّجثوا إلى اصدار القوانين القاسية ، الالکراه على العمل الاجباري . وفي عام ١٥٣٠ م قرر هنري الثامن قانوناً جاء فيه : « . . . وبال مقابل فإن الجلد والحبس من نصيب المشردين الدائمين ، فيبرطون إلى مؤخرة العربات ؛ ويجلدون حتى يسيل الدم من أجسادهم ، ومن ثم يقسمون الأيمان المغلظة بان يعودوا إلى مسقط رأسهم ، أو حيث =

والنظام الراسحالي يهدف الى غاية واحدة ، ويعمل للوصول الى ارفع مستوى ممكـن من الانتاج ، وزيادة ثروة البلاد ، والدخل الـاهلي ،

= عاشوا السنوات الثلاث الاـخـيرـة من عمرـهـم وـيـأـخـذـوـاـبـالـعـمـلـ ٠٠٠

أما ادوارد السادس فـان قـانـونـاـ صـدـرـ فـيـ الـعـامـ الاـولـ مـعـهـدـهـ :

١٥٤٧ مـ يـأـمـرـ بـ « أـنـ أـيـ اـمـرـ يـرـفـضـ العـمـلـ يـحـكـمـ عـلـيـهـ بـانـ يـسـتـعـبـلـهـ مـنـ وـشـىـ عـلـيـهـ كـعـاطـلـ عـنـ عـمـلـ ، نـمـ يـكـوـنـ لـهـ الحـقـ فـيـ أـنـ يـجـبـهـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـأـيـ عـمـلـ شـاءـ ، مـهـماـ كـانـ مـقـرـفـاـ ، وـلـهـ الحـقـ فـيـ اـكـراـهـهـ عـلـىـ ذـلـكـ بـالـسـوـطـ وـالـسـلاـسـلـ . . . وـاـذـاـ هـرـبـ ثـلـاثـ مـرـاتـ أـعـدـمـ كـمـجـرـمـ أـثـيمـ . . . وـاـذـاـ ضـبـطـ اـيـ مـتـشـرـدـ عـاطـلـاـ عـنـ عـمـلـ طـوـالـ ثـلـاثـةـ اـيـامـ ، فـيـجـبـ اـرـسـالـهـ تـوـاـلـيـاـ مـسـقـطـ رـاسـهـ ، وـدـمـغـ فـيـ صـدـرـهـ بـحـرـفـ (مـ) . . . وـيمـكـنـ اـسـتـخـدـامـ الـفـقـراءـ مـنـ قـبـلـ اـشـخـاصـ يـرـيدـونـ تـقـدـيمـ الطـعـامـ وـالـشـرـابـ لـهـمـ ، وـاـيجـادـ عـمـلـ مـنـ اـجـلـهـمـ . . . » وـهـذـاـ النـوـعـ مـنـ العـبـيدـ اـسـتـمـرـ فـيـ انـكـلـتـرـاـ حـتـىـ الـقـرـنـ التـاسـعـ

عـشـرـ

وفي حـكـمـ الـيـزـاـيـتـ ، عـامـ ١٥٧٢ـ مـ صـدـرـ قـانـونـ يـنـصـ عـلـىـ مـعـاقـبـةـ كلـ مـتـسـولـ لـاـ يـحـمـلـ رـخـصـةـ ، وـيـزـيدـ عـنـ الـرـابـعـةـ عـشـرـةـ فـيـ المـرـةـ الاـولـىـ اوـ الـثـانـيـةـ بـالـجـلـدـ الشـدـيـدـ ، نـمـ يـدـمـغـ فـيـ اـذـنـهـ الـيـسـرىـ ، الاـ اـذـاـ تـطـوـعـ شـخـصـ =

ويحسب : ان ازدياد الدخل الاهلي ، وتضخيم حجم الانتاج في البلاد ، يقتضيان - بصورة طبيعية - على فقر الافراد ، وذلك بتمكينهم من اخذ الثروة ، حين ترك لهم الحرية في العمل ، لأنها تواجهها وحياتها ... فالنظام الاقتصادي - في نظرهم - ليس لأنشأ حاجة افراد ! بل لأنجاد اكبر قدر ممكن من الانتاج ، وانشاء حاجة المجموع جملة . ا اما الافراد ! فلهم حرية التملك والاكتساب ! وعليهم : ان يستفيدوا من هذه الحرية ، وينالوا من وسائل الاشباع ، كل حسب ما يملك من عناصر الانتاج . ! وبعد ذلك سواء - لدى الاقتصادي الرأسمالي - ان حصل

= باستخدامه لمدة سنتين . . . لكنه اذا تكرر المجرم للمرة الثالثة ، فإنه يعدم - دون مارحة - ك مجرم اثيم . . .

وهكذا استمر اصدار مثل هذه القوانين واعنة منها ضد العاطلين والمتسولين حتى القرن الثامن عشر ، ولم يلغ مفعولها الا في حكم الملكة «آن» (كارل ماركس راس المال ج ٣ ص ٢٦٨ - ٢٧١)

(٢) وهذا اقسى تناقض في الاقتصاد الرأسمالي ، فهو يتهدى بجعل الفرد قاعدة يتكون النظام منه ، ولاشباع حاجاته ، ثم ينتهي بازاحة الفرد ، وحقوقه ، وواجباته عن النظام ١١

الأشباع لجميع الأفراد ، أو لبعضهم دون بعض . !

محنة وانهصار

فاذن تتلخص الفلسفة الرأسمالية : - الحالية - في هذه العبارة : يجب تمويل البلاد بالثروات الطائلة ، فانها طاقة خلاقة يجب حمايتها ، والانتاج مما لا بد منه لل توفير عن المجموع . . . أما توزيع الانتاج على الأفراد ، فعلى الشعب أن يقوموا بذلك . ! ! فإذا فعل النظام الاقتصادي الرأسمالي إذن ، إن المشكلة الاقتصادية ، هي توزيع الانتاج على الأفراد ! ولا غير . ! والنظام الاقتصادي الرأسالي ينكل عن معالجتها ! فهو فاشل . !

بيئات الرأسمالية

لقد كان الناس يأملون : أن يربحوا من النظام الاقتصادي الرأسالي إلغاء الفقر ، وتكوين مجتمع متقارب الطبقات ! وما إن طبق هذا النظام ، إلا وانقضت آمالهم عن جرائم وسيئات ، لم يجدوا إلى تبريرها سبيلا . . ودفعوا في سبيلها أفحى الأمان .

من هنا وقعت البشرية في دوامة من المأساة والويلات ، والدماء والدموع ، لاتستطيع الهروب منها إلا إلى أسوأ منها . . وسوف يضيق

المجال لو استعرضنا ما أصابت البشرية من هذا النظـام الطائش ، كما هي في واقع الحياة . غير أنا نشير إلى بعضها من بعيد : ١

نكـبـةـ الطـبـقـات

فقد أعلن النظام الاقتصادي الرأسمالي : حرية التجارة والاكتساب، بشتى الوسائل والألوان ! ! وافق هذا الأعلان ، مع دوى المعامل ، وهدير المصانع ، التي تعهدت بأداء شطر كبير من الأعمال ، وأكتساح القسم الأـكـبـرـ من العـمـالـ . . . فـأـهـلـ النـاسـ الصـنـاعـاتـ الـيـدـوـيـةـ - التي كانت تتفق على الطبقة الوسطى ، وقسط من العمال - ولم يكن يستطيع استئجار الآلة إلا الصفة من أرباب الثروات ، وقد استخدمت الحرفيات والضمانات المقدسة ، التي قررها النظام الرأسمالي : للتوسيعة في استغلال الأفراد والأموال.

فاصبح الناس ! وقد وضع أصحاب الثروات الكـبـرـىـ أصحابـهمـ على المعامل ، ومنابع الثروة الأخرى : (الأراضي الزراعية ، الخامات ، العمال . .) والفئة الوسطى على شفير الهاوية ، مشرفة على السقوط - لأن المستهلكين انصرعوا عن المنتوجات اليدوية ، واذدوا على الصناعات الآلية - وعطل العمال الذين اخذ الحديد يمارس وظائفهم ! وجمahir العمال

الأخرى بقى تحت رحمة تلك الصفة ، التي لا تعرف إلا مغامها وماربها ،
ولا تؤمن إلا بالملادة ، ولا تقدر الرحمة والأنسانية إلا من أنواع
الجبن الفكري .

وهكذا انقسم المجتمع إلى طبقتين :

١ - الأقلية المتراءة على قيمة التراه ، المزودة باً وسع الحرريات والضمانات
القانونية ، والتي تحكم مصير الملايين ، وتستخدم حتى السلطة الحاكمة ،
في أعمالها الإبتسازية ، وضيقتها الدائمة : أن تستغل حاجة الأكثريّة إليها ،
فتلتقط القادرين ، لفرض عليهم العمل ، في مدة لا يمكن الزيادة عليها ،
وباجور لا تفي إلا بالحياة الضرورية . . . ثم تنطلق في إشباع رغباتها إلى . .

وهكذا بُرِزَ بعض الشركات ، وبِيزانيتها تصارع ميزانية الدولة .
كما أن أقل من (٤٠٠٠ : أربعة آلاف نسمة) - في مصر - قبل إصدار
قانون الاصلاح الزراعي ، كانوا يملكون ثلث جميع الأراضي المصرية ،
وثلث جمجم النقود الموجودة في البنوك المصرية . .

وأخيراً ، وبتأثير الخوف من الشيوعية ، أموالاً اوارد العامة - إنجلترا -
قبيل سنوات ! أما في أمريكا ، فتى اليوم نجد المذاج الوهابي ملكاً للأفراد
٢ - الأكثريّة السعيدة ، المنهارة في اعمق الفقر المدقع البريء ،

والحطام البشري المنتشر في الشوارع والطرقات ، والعمال القدرين الذين يكذبون مع العجلات والدوالib ، في الزيوت النتنة السوداء .. حتى كأنهم الحديد المتحرك ، أو الديدان التي تغوص في الوحوش والمستنقعات وإن خطاب « غلادستون » عن الميزانية ، يعطينا صورة بارزة عن وضع الجاهير التي تزحلق على حافة الأملأ عنـدما يقول : « ليست الحياة البشرية ، في كل تسع من عشر حالات ، سوى صراع من أجل الوجود (١) » وكما يتحدث عن ذلك « من . لينغ » قائلا : « لسنا نعرف مكاناً ضحيت فيه حقوق الأشخاص بكل صراحة وصفاق ، لحقوق الملوكية ، كا هي الحال في مساكن الطبقة السكادحة . وانه يمكن اعتبار كل مدينة كبيرة مكاناً للتضييق البشرية مذبحاً تحرق عليه سنوياًآلاف لا شخصاً كضحايا ملوخ البخل (٢) » .

وهكذا وجد في إحدى البلاد الرأسمالية : رجل ورث عن أبيه : خمسة ملايين جنيهآ ، ثم صار الذهب يتتدفق عليه كما ينهر الحمم الوهاج على جوانب البركـات ، وقدر فائضه كل أسبوع بـمليون جنيهآ - هو

(١) نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٠

(٢) هامش نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٨

«جون رو كفلر»! ورجل يعمل في المزرعة كل يوم (عشرة) ساعات ويتقاضى راتبًا مقداره: (خمس) سنوات - يوميًّا - ! وفتاة وجدت ميلته فكشف الفحص الطبي: أنها ماتت جوعاً! وفتیان انتحرموا فقراء... .

والسبب في ت تكون هذه الطبقات الجلائرة: أن شيئاً من الأرضي الزراعية، والخامات، لم يزد بواسطة الآلة! والذى حدث: أن المنتوجات الآلية حيث كانت أبجود من المنتوجات اليدوية. وأرخص - لأنها اعتمدت على الآلة الحديدية، لاعلى العضلات الحيوانية - جلبت رغبات الناس! وبالطبع، خفضت أسعار المنتوجات اليدوية هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الرجل الواحد مع الآلة ينتج أضعاف ما ينتجه نفر من عمال اليد! فكأن من الطبيعي: أن تخفض أجور عمال اليد كثيراً، ويصبح راتب عامل الآلة، أضعاف رواتب عدد من عمال اليد... لذلك كله أضررت عمال اليد، وخسر أسيادهم، وأصبحوا - جمِيعاً - برتبة العمال... وهكذا تقلصت المنتوجات اليدوية عن الأسواق... فبقيت الأرضي الزراعية والخامات كلها، تحت أيدي أصحاب الآلة، فكان على الناس: أن يخرجوا أرزاقهم من أيدي أصحاب الآلة... ! فما كان من أصحاب الآلة إلا أن زجوا بوفر من العمال في ملحمة القدر، واستخدموها القسط

الآخر . . . وحيث كانت جهودهم منصبة على الأستزادة من الفائض ، دون ان يحرموا على سلامة المجتمع ، رفعوا الأسعار إلى حيث شاءت لهم مطامعهم ! فكان العامل - في الحقيقة - لا يتمتع إلا بما يساوي قيمـا من عملـه أـمـا ما يساوي القـسـمـ الـآـخـرـ ، فـكـانـ يـتـسـرـبـ إـلـىـ صـنـادـيقـ صـاحـبـ رـأـسـ المـالـ ! ! ! فـكـانـ العـاـمـلـ يـتـدـهـورـ نـحـوـ الـهـوـةـ ، عـنـدـمـاـ جـعـلـ سـيـدـهـ يـرـتـقـيـ نحوـ الـقـمـةـ ! كـمـاـ صـرـحـ بـذـلـكـ «ـغـلـادـسـتـونـ»ـ قـائـلاـ : «ـإـنـهـ لـمـنـ الصـفـاتـ المـحـزـنـةـ لـلـوـضـعـ الـأـجـمـاعـيـ فـيـ هـذـاـ الـبـلـدـ ، أـنـنـاـ نـجـدـ إـلـىـ جـانـبـ النـقـصـ فـيـ قـوـىـ الـشـعـبـ الـأـسـتـهـلـاكـيـةـ ، وـإـلـىـ جـانـبـ الـزيـادـةـ فـيـ حـرـمـانـاتـ الـطـبـةـ .ـةـ الـعـاـمـلـةـ وـالـأـجـراـهـ ، وـبـؤـسـهـاـ ، تـجـمـعـاـ مـسـتـمـرـاـ لـلـثـرـوـةـ فـيـ الطـبـقـاتـ الـعـلـيـاـ ، وـزـيـادـةـ مـتـصـلـةـ لـلـرـأـسـمـالـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ (١)ـ .ـ

وقد أكد ذلك «ـغـلـادـسـتـونـ»ـ حيث قـدـمـ بـيـزـانـيـتـهـ قـائـلاـ : «ـمـنـ ١٨٤٢ـ إـلـىـ ١٨٥٢ـ زـادـ الدـخـلـ الـوـطـنـيـ الـخـاصـعـ لـلـضـرـبـيـةـ ، بـنـسـبـةـ ٦ـ٪ـ وـفـيـ مـاـيـاـنـيـةـ سـنـوـاتـ مـنـ ١٨٥٣ـ إـلـىـ ١٨٦١ـ ، زـادـ بـنـسـبـةـ ٢ـ٪ـ عـلـىـ أـسـاسـ عـاـمـ ١٨٥٣ـ !ـ وـإـنـ هـذـهـ الـحـقـيـقـةـ اـبـاعـثـةـ عـلـىـ الـدـهـشـةـ الـعـمـيـقـةـ ، حـتـىـ لـاتـكـادـ تـصـدـقـ .ـ.ـ الـزـيـادـةـ الـمـسـكـرـةـ لـلـثـرـوـةـ وـالـقـوـةـ .ـ.ـ الـمـحـصـورـةـ كـلـيـاـ

(١) نفس المصدر ج ٣ ص ١٣٨

في الطبقات المالكة . . . يجب أن تعود بمنفعة غير مباشرة على السكان العاملين ، لأنها تخص بضائع الاستهلاك العام . في بينما كان الغني يزداد غني كان الفقير يصير أقل فقرأ (١) ٠٠٠ .

وعندما كان العامل يحتم على سيده أن يرفع الْجُور ، لا يفتَأِن يردها غير أن شيطان المادة كان يسول له : ان يرفع بمقداره سعر البضاعة ، كي يتدارك الْأَمْر فلا تقل ارباحه ، كما يكشف ذلك « غلاد ستون » قائلاً : « أنا لانكر ، بكل تأكيد : ان الْجُور قد ارتفعت بهذه الزيادة للرأسمال (في السنوات العشر الأخيرة) ، بيد ان هذه الحسنة الظاهرة تذهب هباءً حتى درجة بعيدة ، لأن عدداً كبيراً من ضرورات المعيشة قد أصبحت أغلى ثمناً . . . إن الغني يزداد غنى بصورة سريعة ، فيما لا نجد أى تقدم محسوس في الرغد الذي تتمتع به الطبقات الصناعية (٢) ٠٠٠ .

فالعامل - على أي حال - لا يستطيع ان يعيش مرفها ، وإن كانت تدر عليه مدد من قبل صاحب رأس المال ، والعامل يريد أن يعيش سعيداً ولا يطالب بأى شيء سواه ، وذلك مالا يناله تحت هذا النظام . ! كما

(١) نفس المصدر ج ٣ ص ١٣٩

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٠

يدلي بذلك الدكتور «سيمون» في تقريره بخصوص هذه الحقائق، حيث يقول: «... وإن لمن الصحيح فيما يخص عمال المدن، أن العمل الذي يحصلون بواسطته على مرتبهم المهزيل يمدد بصورة دائمة تقريرًا... ومع ذلك فإن من المؤكد: أننا لا نستطيع أن نقول، إلا في حالات قليلة، أن هذا يكفي لأن عالاتهم... إن ذلك لا يعود كونه على نطاق واسع جداً مسيراً يطول أو يقصر نحو الأملالق (١)»

الفتاج

وتكون الطبقات ليس مما يضر الفقــراء فحسب، وإنما يسبب المشاكل للأفقراء والاغنياء على حد سواء، فقد جاء في الاحصائيات العالمية «ان ٩٠٪ من حوادث الاجرام والاغتيال مصدرها الفقر...» وهذه الجرائم والاغتيالات تتوجه نحو الأغنياء! كما ان الفقــراء يعتقدون المباديء الهدامة لمطاردة الفقر، فيصبون العذاب الأليم على رؤوس الناس... وقد جاء في احصائية أخرى: «ان ٧٠٪ من القلق الذي نعاينه مرجعه إلى المال، وان معظم الناس يعتقدون: ان متاعهم ستنتهي متى ازداد دخالهم بمقدار ١٠٪ وقد يصدق ذلك في بعض الاحيان، ولكنه في أكثر

(١) نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٠

الاحيان لا يصدق » (١) . فقد ثبت : ان الاسراف يهدى كيان الاذان بالموت الباكر ، وشى الامراض . . . فان اجهزة الجسم لو افرطت في استهلاك طاقاتها تحطم ، وسوف لا تغفر للانسان صغيرة ولا كبيرة . . . كما ان الارباح الفائضة تولد مصارف جديدة ، وتسبب المشاكل الاجتماعية الفادحة . . .

النهاية الرديان

إن فلسفة الاقتصاد الرأسمالي لا تنسجم مع فكرة الأديان ! فالاقتصاد الرأسمالي يعمل لتزوير الانتاج ، من أي سبيل كان ، والأديان لا ترضى بالظلم ، والرشوة والربا ، والاحتكار ، وسائر الموارد المحرمة . . . كما أن الاقتصاد الرأسنالي يقرر لـ كل فرد الحق المقدس ، في إشباع حاجاته كلها في حين أن الأديان تمنع : الزنا ، والمقامرة ، والخمر ، والغناه ، واللهو . . . والاقتصاد الرأسنالي يحاول تكريس جهود الناس ، ومحالات نشاطهم في الانتاج والاستهلاك . . فلابد أن يعبدوا ربوا واحداً هو المادة كي لا يفكروا إلا فيها ، ولا يعملا إلا لها . أما الأديان ، فتوزع القوى والثروات إلى جميع جوانب الحياة ، وتحدد علاقة الفرد بالمادة . فهي إذن

(١) دع القلق . . . ص ٣٧١

تعرقل طريق الاقتصاد .. فلابد من إلغائها !
والحرية الدينية لا يعني بها إلا أن يكون الفرد مؤمنا - في قلبه -
برب ونبي وإمام . وليس له الحق في تطبيق دينه على المجتمع « فالدين لله
والوطن للجميع (١) » .

مأثـات الفـضـيلـة

وما دامت الأمور تقدر بمنافعها المادية ، فمن الطبيعي سحق الفيم
المعنوية ، والفضائل الخلقية ، وكتب البواعث الفكرية ، والانزعات النبيلة ..
فالمجتمع الرأسمالي الذي يرى الإنسان - كسائر الحيوانات - مجرداً عن
الميول الروحية ، والأفكار الإنسانية النبيلة ، والأهداف التي تسمو عن
عالم المادة وجoadتها ، ولا يعرف للفرد كرامة معنوية وسموا روحياً ،
بل يتطرف في الأنجاهات والموازين المادية البحتة ، ولا يقدر النجاح
والفشل إلا بالاستغلال والاستهلاك ، وإشباع الجموعات الجسدية وتوفير
ثروة البلاد لابد أن يشد مجتمع يسوده هذا النظام عن الفضيلة ، ويفرى
بالجريمة ...

وإذا آمن الفرد بالمادة ، وعرفها مقاييسـاً وهـدفاً للحياة ، وعلم ان
ميدانه ونصيبـه في هذا الوجود ، هو هذه الفترة من حياته الخاصة .. وأن

له الحرية في التصرف والاستثمار . . . وأنه المسؤول عن نفسه ، ولا مدافعان عنه إلا قواه ، ولا غرض من حياته إلا مصالحه الفردية ، وأنه في خطر من كل مصلحة من مصالح الآخرين ، التي قد تزاحمه على هدف . . . عند ذلك يشعر الإنسان : أنه في صراع دائم ، وجهاد لا ينضي ، وقد يستبدل به الختوع ، وتنسبوا قواه . . فيرضى : أن يعلن انهزامه ، ويضع حدأً لحياته بالانتحار . . ولكن مادام حب الذات يحفزه على الاستمرار في الجلاد ، فإنه لا يفتاً يتداول من كل جانب ، ويسرق ، ويفش ، وينخون . . ويعمل كلما تعلية عليه هواجسه ووادره ، ليوفر على حاجاته وبيوله وأغراضه ، أكبر قدر ممكن من وسائل الأشباع . . .

وهكذا نرى المجتمعات الرأسمالية ، تعرف - من الضروري - إطلاق البغاء ، وتشجيع معاقرة الحنور ، وشرب الافيون ، وارتباك المحرمات كلها ، لأنها تشتم نوعاً من الحاجات ، وتجلب قسماً من الثروات وهل يعرف المجتمع الرأسمالي غير الحاجات والثروات ؟

الخ

وكذلك نهض قوم واستغلوا الحرية الشخصية للأكتساب ، وراحوا يبيعون الحنور على قواعد الطريق . . جلباً للثروة إلى جيوبهم ! ولم يكن

هناك ثأر ينقد المجتمع من غوائل هذا الطاعون الفتاك ، بل حافظت السلطات والقوانين على مصالح الحمارين ، ودافعت عنهم بالسلاح
والقضية التالية تضمن لنا ابراز مكانة الأخلاق من النظام الرأسمالي:
في إحدى الدول الشقيقة ، عرضت لائحة على البرلمان لمنع استعمال الخمور ، فكان الجواب الأول والأخير ضدها : « إن الكحول تلقط الدولة كل عام (٤٠ : أربعين مليونا) من إـ (٠٠٠) وذلك وفر كـير لا يمكن الغض عنه » مع أن نوابـ البرلمان - جميعـاً - اعتـروا انتـاءـ المحاورـات ، بـضارـ الكـحـولـ الفـردـيـةـ ، والـاجـتمـاعـيـةـ

الربا

وجاء آخرون فأخذوا يرابون الناس باًـ موـاهـمـ ، ونشرـوا فـاخـهمـ في القاصـيةـ والـدانـيةـ ، وراحـوا يـتصـونـ دـماءـ العـالـمـينـ ، ويـخـلفـونـ وـرـائـهمـ الاـسـاطـيرـ والـأـمـثالـ بـصـورـةـ قـانـونـيـةـ جـريـئـةـ ، كـيـ لاـيـسـلـمـ مـنـهـمـ أـحـدـ بـقـطـرةـ منـ دـمـهـ ! ! !

القـمارـ

وـقامـ آخـرونـ فـاشـاعـواـ فـيـ الـجـمـعـاتـ : الـفــمارـ ! وـابـتـكـرواـ لهـ طـرقـ

حديثة تتسرب الى جميع شعب التجارة ، حتى لم يسلم مكسب من المكاسب من عنصر القمار ، وما معه . . . وكان لهذه العناصر ثلاثة : الخمر ، الربا ، القمار . أثراً بعيداً في تفسخ الأخلاق ، وتكوين الطبقات .

وكذاك انتحرت العفة ضحية الترف الغليظ ، والأغراض المثير ، الذين تحفل بهما حياة المترفين ، مع ما عليه الأكثريّة من الفقر والحرمان .

اساطير فارغة

وقد يحلو للمتمشدين من أنصار النظام الرأسمالي : أن يدلوا على وجود الأخلاق في المجتمع الرأسمالي باوهام خرافية ، ليس لها في صميم الواقع أي أثر !!

ذلك أنهم يقولون : إن المدف الشخصي بنفسه يحقق المصلحة الجماعية ، وأن النتائج التي تهدف إليها الأخلاق تتحقق في المجتمع الرأسمالي ، لاعن طريق الأيمان بالأخلاق ومكانتها الذاتية أو الأخروية ، بل عن طريق الدوافع المادية الفردية ، فالإنسان حين يقوم بخدمة إجتماعية ، يشمله قسم من تلك الخدمة العامة ، باعتباره عضواً في المجتمع الذي خدمه ، وحين ينقذ حياة فرد من الخطر ، فقد أفاد نفسه ، لأن هذا الفرد سوف يخدم المجتمع ، فيعود إليه نصيب منها . . .

غير أن هذه الكلمات البراقة لا تكون إلا خلاق في المجتمع ، فـأـن
كثيراً من الخدمات التي يسدِّيَها الفرد إلى المجتمع ، تبعـاً المدـافع المـعنـوية ، لا تـعود
إليه بـخـير أـبـداً (١) فالأنبياء جـمـيعـاً أـنـفـقـواـ في سـبـيلـ المـجـتمـعـ أـوـسـعـ الخـدـمـاتـ
فـلـمـ يـشـكـرـهـ المـجـتمـعـ إـلـاـ بـالـسـمـ أوـ السـيفـ ٠٠٠ وـ «ـ غـانـديـ »ـ حـرـرـ الـهـنـدـ ،ـ
وـ «ـ إـبـراهـامـ لـنـكـولـنـ »ـ حـرـرـ الـعـبـيدـ ،ـ وـ رـفـعـ أـعـدـائـهـ إـلـىـ الـمـنـاصـبـ الـخـطـيـرـةـ ٠٠٠
ثمـ كـانـ نـصـيـبـهـاـ الـأـغـتـيـالـ ! ! !

ثـمـ لوـ كـانـ الـأـنـسـانـ يـخـدـمـ الـجـمـتمـعـ ،ـ لـيـعـودـ إـلـيـهـ نـصـيـبـ مـنـ تـلـكـ الخـدـمـةـ
كـانـ الـأـجـدرـ :ـ أـنـ يـكـرـسـ تـلـكـ الخـدـمـةـ لـنـفـسـهـ -ـ فـثـلـاـ -ـ لوـ كـانـ الـأـنـسـانـ
يـطـعـمـ النـاسـ لـيـشـتـرـكـ مـعـهـمـ فـيـ الـأـكـلـ -ـ وـ لـاـ غـرـضـ سـوـاهـ -ـ فـالـعـقـلـ يـفـرـضـ
عـلـيـهـ :ـ أـنـ يـدـخـرـ -ـ مـجـمـوعـ الـطـعـامـ لـوـجـيـاتـ نـفـسـهـ ،ـ وـ هـلـ مـنـ الـعـقـولـ :ـ أـنـ
يـوزـعـ الـفـرـدـ عـلـىـ الـجـمـتمـعـ الـمـلـاـيـنـ ،ـ لـيـغـنـمـ وـاحـدـاـ مـنـ نـفـسـ مـالـهـ ٠٠٠

(١) لقد شفـى المسيح عليه السلام عشرة من المـلـوـجـينـ -ـ فـيـ يـوـمـ
وـاحـدـ -ـ فـلـمـ يـقـدـمـ لـهـ الشـكـرـ إـلـاـ وـاحـدـ مـنـهـمـ ٠٠٠
وـ «ـ صـمـوـيلـ لـاـ يـبـيـزـ »ـ الـذـيـ كـانـ مـحـاـمـيـاـ ثـمـ قـاضـيـاـ ،ـ أـنـقـذـ (٧٨ هــماـنـيـةـ
وـ سـبـعينـ)ـ رـجـلاـ مـنـ الـكـهـرـبـائـيـ ،ـ فـلـمـ يـشـكـرـهـ أـحـدـ مـنـ هـؤـلـاءـ
(دعـ القـلـقـ ٠٠ صـ ٢١٧)

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، إذن لهانت المأسات ، ولكن
الاقتصادي الرأسمالي أدى إلى :

انهيار المجتمع

فرجل الاقتصاد لا يحازل تنظيم المجتمع كما يجب أن يكون ، وإنما
تهمه المنافع والمصالح ! فهو لا يغش حتى تنجح تجارتة ، وتكتثر رواده ،
وإذا ربحت تجارتة بالغش والخداع فالنظام الرأسمالي يسمح له مباشرتها ،
وهو لا يتذكر الفقراء تلبية لابواث الدينية أو العاطفية ، وإنما يعيشهم
مخافة أن يسرقوه او يقتلوه ، أما إذا أمن مكرهم فالتفكير الرأسمالي يؤكّد
دللية تجويدهم !!

وهنا يتبلور الاقتصاد الرأسمالي في إطار جديد ، هو الاستغلال
والاستعباد - بلا حدود - فمن حق الصفة من أصحاب الثراء : أن يستغلوا
حاجة الاً كثريّة اليهم ، فيفرضوا عليهم الاعمال المرهقة ، بأجر بخسّة
ضئيلة ، لاتضمن الحاجات الضرورية للإنسان ، فيوزع المجتمع إلى اقلية
متربّة ، تسود و تستهلك ولا تنتج ، وأكثرية تعمل ولا تسود ولا تستهلك
إلا قليلا . . .

هكذا تتحكم الاًقلية على الاً كثريّة ، رغم ديمقراطية هذا النظام !!

وبعد ذلك يأتي دور .

الاستهلاك والحروب

١ - العمال المنتجون ، لا يستطيعون ان يستهلكوا بقدر ما ينتجون
لضئولة اجرورهم . . . والساسة المتاخومين لن يأتوا على مجموع الانتاج مما
حرصوا . . . وشدة حركة الانتاج وتدفقها ، بداعي الحرص والاستعلاء
المادي (١) جعلت المنتجات الفائضة اكبر من الاستهلاك ، فتجدد المخازن
تعص بالبضائع ، والمعامل تختب في الفائض . . . والأسواق جامدة
غافية . . . فلا بد للساسة المالكين : أن يبحثوا عن اسواق متعطشة الى
بضائعهم ، ولا بد ان تخرج هذه البضائع الى خارج الحدود ، والجمارك
لا تسمح أن يكون الوارد إلا أقل من الصادر - لتنمية ثروات البلاد -
فاذن أين تصرف هذه البضائع ؟ إلا في الدولات التي لا تملك المقاومة
والصمود . . من هنا تطلق الدول الكبير تستعمر ما تستطيع من الدول

(١) في بعض البلاد الرأسمالية كـ « اليابان » و « فرنسا » يتخذ
العمال في العمل القبيق المنصوب على عجلات صغار ، ليكون تنقلهم في
العمل أنشط من المشي أو العدو . . وهذه الحركات العنيفة نشرت فيهم
الصداع الدائم والহستيريا .

الصغر ، لتصرف فيها بضائعها ، و تفرضها على الشعوب بأثمان تقدرها بنفسها . وهذا هو الاستعمار السافر .

ويتو ذلك تطاحن الدول الكبار حول إستعمار الدوليات ، وهذا مالا ينتهي إلا بالحروب . ١١

٢ — ان وفرة الانتاج تتوقف على وفرة الخامات ، و جميع الموارد الموجودة في الدولة موزعة بين أصحاب رأس المال ، فلا بد أن يمدوا أبصارهم إلى آفاق جديدة ، ومناطق تكتض بالمواد الأولية ، لينشروا نفوذهم عليها ، فيمتصوا الموارد ، ويسلبوها الامتيازات ، وهذا هو الاستعمار وهنا يكون التنافس والتناطح على الاستغلال ، وإهدار الأموال السخينة في سبيل الدعاية والتعبيذ !

فإذا كانت هناك دولة قوية يرضخ لها الجميع إمتلاك دماء العالمين بكل هدوء . وتحت شعارات وطنية مخلصة ، وليل لانهـــاس إذا تكافئت القوى ، ولعلت الحروب تلتهم الرطب واليابس (١)

(١) والقضية التالية تحدّثنا باسهام ، عن مدى صدق هذه النقاط ، التي سجلناها :

«كان التجار الانكليز» يحملون الأفيون إلى بلاد الصين ، وقد اعتاد الصينيون : أن يدخلوا الأفيون الخالص ، دون أن يمزجوه بالتبغ

٣ - إن هناك تبايناً شاسعاً بين طبائع البلاد ، ومناخاتها ، تبعاً

= فتقل تكاليفه وأضراره ، وتبعاً لذلك سرى فهم « الملاриا » والفقير ،
وفي عام ١٨٠٠ أصدرت الحكومة مرسوماً لكافحة هذا الداء ، الذي جعل
يهدى كيان الشعب وثروة البلاد ، فمنع من إستيراد الأفيون منعاً صارماً ،
ولكن الأرباح المتضاعفة - وخصوصاً بعد إعلان المنع - حملت التجار على
التهريب ، وشراء ضمائر المسؤولين بالرشى وازداد التهريب بعد عام ١٨٣٢
فاضطررت الحكومة إلى إتخاذ إجراءات حازمة لتحديده ، وعينت
« لن تسي هي » مأموراً لمقاومة التهريب فأرغم جميع التجار
الأجانب على أن يسلموا السكريات الموجودة لديهم من الأفيون
المهرب ، وأحرقها !

وحيث كان أغلب الأفيون الذي أحرقه « لن » ملكاً لتجار
بريطانيا ، أعلنت عام ١٨٤٠ حرباً على الصين ، بحججة الدفاع عن كرامتها
وشرفها ، وعرفت هذه الحرب بـ « حرب الأفيون » . وعندما ضعفت
الصين أمام الأسطول البريطاني إستسلمت لها ، وانتهت الحرب بفرض
تماطي سُم الأفيون على أهل الصين ، ووقعت معاهدة « نانكنج » التي
أرغمت الصين على فتح خمس موانئ في وجه التجارة الأجنبية ، واقتطعت
= بريطانيا جزيرة « هونغ كونغ » ، وابتزت قسماً كبيراً من المال ، كتعويض

للفروض الطبيعية . . . ففيما نجد بعض البلاد يُقل بالخسارات ، ويُطافح
بالمواد الأولية . حتى ان في تراها انواعا من الخامات . نجد إلى جانبها
بلاداً فاحلة جرداً ، يسودها الملح والجدب . . . والرأسمالية الكبرى
حيث تسعى نحو إنجاب أكبر قدر من الإنتاج ، لا بد لها . أن تقوم
بتقسيم عالمي . للأعمال والمناطق ، تفرضه المراكز الرئيسية للصناعة الكبرى
على سائر المناطق ، فتقلب قسماً من الكورة الأرضية ، التي تغلب عليها

عن كمية الأفيون التي أحرقها «لن» وعن خسائر الحرب التي
أقامتها ضد الصين . .

غير أن القضية لم تنته بعد ، فقد ظل فصل محزن في هذه الرواية ،
فقد تبعثت المعاهدة محاولة التبشير ، واعقبتها ثورة «هنج هن شوان» ضد
المعاهدة والتبشير وبلغت ضاحياً ثورة «هنج» ٢٠ مليون نسمة . . .
وبعد ما انتصرت التجارة الأجنبية ، احتكرت أسواق الصين ،
لبعضها الفائضة عن استهلاكه المحلي ، وجعلت ترفع الأسعار متاثرة
بالأسعار العالمية ، ثم بعد ذلك كانت ثورة «تاينغ» وفوضى شامل انتهت به
الدول الغربية ، لانتزاع الامتيازات والأراضي الصينية . . وانطلت بعد
ذلك سلسلة . . حروب . . حروب . إنتهت بالشيوعية .

تلخيص (نهرو . لمحات من تاريخ العالم ص ٤٢٥ - ١٣٢)

السهول ، وتفجر بالمياه والأشجار كأكثر البلاد الإسلامية إلى مناطق زراعية ، وحقول ومراتع ، لانتاج الحبوب والفواكه ٠٠٠ وإنجاح الانعام وما يتبعها (١) .

(١) وهكذا تحولت الهند - قبل تحررها - واستراليا ، ورأس الرجاء الصالحة إلى مخازن هائلة من الصوف والقطن ببريطانيا وأليكا رقمانها على سبيل النموذج :

القطن المصدر من الهند إلى بريطانيا (بالأرطال) :

١٨٤٦ ٣٤٣ ر ٥٤٠

١٨٦٠ ٢٠٤ ر ١٤١

١٨٦٥ ٤٤٥ ر ٩٤٧

الصوف المصدر من الهند إلى بريطانيا (بالأرطال) :

١٨٤٦ ٤٥٨١ ر ٥٧٠

١٨٦٠ ٢٠٢٣ ر ٢١٤

١٨٦٥ ٢٠٦٧٩ ر ١١١

الصوف المصدر من رأس الرجاء الصالحة إلى بريطانيا (بالأرطال) :

= ١٨٤٦ ٢٩٥٨ ر ٤٥٧

وتحول المناطق الوعرة القاحلة ، الى مراكز صناعية تغص بالمعامل والمصانع . !

وهذا لا يكُون إلا اذا سيطر الوطن الام على جميع البلاد بالاستعمار حتى يفصلها الى مراكز صناعية ، أو مخازن زراعية وذلك هو الاستعمار ، الذي يوزع مقادير البلاد تفاصيل . . . تفاصيل . . . ليبيدد قواها ويعتبر خيراتها ، كما يسول له عملاق المادة ، ومردة الشياطين ليسهل له استغلالها ابشع استغلال .

أخطاء الرأسمالية

لا يسعنا - الآن - أن نسطر جميع الأخطاء التي يحفل بها هذا

١٨٦٠ ١٨٦٠ =
٥٧٤ ر ٣٤٥

٢٩٠ ٢٩٠ ٩٢٣ ر ٦٢٣

الصوف المصدر من استراليا الى بريطانيا (بالارطال) :

١٨٤٦ ٢١٠ ٧٨٩ ر ٣٤٦

١٨٦٠ ٠٠٠ ١٦٦ ر ٦١٦

١٨٦٥ ٠٠٠ ٢٦١ ر ٧٣٤

(رأس المال كارل ماركس ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨)

١ — تحديد الحاجات بـ : «**ال حاجات الضرورية** تجتمع
الأفراد ، في الدرجة الأولى - ثم المساعدة على إشباع قسم معين من
ال حاجات الكمالية - في الدرجة الثانية » .

٢ — تحديد وسائل الإشباع بـ : (ما يشبع الحاجات الضرورية ،
أو ذلك القسم المعين من الحاجات الكمالية) . والمنع الخامس : الفكري
والجزائي من إنتاج غير هذه الوسائل .

ولو لا ذلك لانصرفت السلع والخدمات عن حاجات الاكثيرية
السليمة ، وتضاعفت لتوفير وسائل الإشباع الكمالية ، وازدياد الدخل
الأهلي ، وثروة البلاد ، كما نجد الآن وسائل الإشباع تحوم وتتساقط على
موائد المترفين ، والجماهير ترزح تحت كابوس الفقر والعمران رغم التجارة
المطلقة ، والتنافس الحر !!

ال حاجات المتتجددة

وأما ما يزعمون : أن الحاجات المتتجددة تتضاعف ، وترتفق مع
المدنية والحضارة ، والمنافع المنتجة لا تتكفل إشباعها إشباعاً كلياً فتولد
المشكلة الاقتصادية : الندرة النسبية للسلع والخدمات بالنسبة إلى الحاجات
العامة . فهو غير صحيح لأن الحاجات الأساسية لا تتجدد أبداً !!

وإنما تتجدد الحاجات الكمالية . . والقسم الأول من الحاجات المتتجددة حاجات كاذبة ، يجب اهالها - كما رأى عليك - . والقسم الآخر من الحاجات المتتجددة ليس من الضروري اشباعه ! ولو بقيت جائعة .

فليست هذا أساس المشكلة الاقتصادية . . وال الحاجات التي تكون مختمة الاشباع هي الحاجات الضرورية المحدودة التي لا تنمو ولا تزيد والأموال والجهود الموجودة في العالم ، تكفي لأشباعها : اشباعاً تاماً ! وإنما المشكلة الاقتصادية هي كيفية توزيع الأموال والجهود على الحاجات !

غلطة في التدريس

ثم ان تحديد الحاجات ، بال الحاجات المادية ، خطأ سافر ! فان أشد الحاجات الحاحا على الانسان هي الحاجات المعنوية ، فان حاجة الفرد الى الدين (١) ، والحرية ، والثقافة ، والسلام ، والتقدير .

(١) وللتدليل على ذلك اقرأ كتاب دع القلق وابدأ الحياة ، تأليف « ديل كارينجي » ، تعریف عبد المنعم الزیادی

ص ٢٧٩ — ٣٠٣ .

حاجة استكمالية تساعي الفرد لمكافحة الكوارث ، ومقاومة العقبات
ولو لا اشباعها انقلب حياة الانسان الى أتون مسحور .

الأيدي العاطلة

ولقد قرر النظام الاقتصادي الرأسمالي : إن إطلاق التجارة ،
والتنافس الحر ، يقضيان على الأيدي العاطلة . ! غير أن الفكرة المادية
التي تبناها الاقتصاد الرأسمالي هي التي أبدعت الآلة ، واستخدمت النساء
والأطفال بأجور بخسة . ! فاستغنى أصحاب الثروات عن العمال ، حتى
أصبح العامل برى نفسه خيراً بين أن لا يعمل أو يعمل طويلاً بأجور
متهاودة ! وهكذا رفض قسم من العمال العمل ، كما بقى الآخرون يعملون
بكل تبرم وقنوط . . وقد دلت الاحصاءات على «أن ٧٨٪ من القادرين
على العمل في الريف ، يعتبرون قوة معطلة ! لأنهم لا يعملون ! ولا
يبحثون عن عمل ! سواء لعدم رغبتهم فيه ، أو لاستغنائهم عنه ، أو لعدم
قدرتهم على الدخول في ميدانه (١) .

كما دلت تقارير وزارة الصناعة على «أن ٧٦٪ من طاقات العمال

(١) الاسلام والطاقات المعطلة ص ١٥ .

عندنا معطلة لعدم الكفأة (١) .

وعدم الكفأة ليس من ركائز الانسان الفطرية ، وإنما هو رد الفعل الطبيعي عن ضئولة الاجور وعنة الأعمال . ١١

الطاقة الماء.

والنظام الاقتصادي الرأسمالي أكد : أن استخدام الخامات وتحويتها إلى بضائع نافعة ، لا يكون إلا باطلاق التجارة الحرة . وذلك إن صدق في بعض حين ، فإنه لا يصدق في أكثر الأحيان لأن في بلادنا - مثلاً - توجد الخامات من كل شيء ! والتجارة رأسالية حرفة ! وبعد ذلك فتحن نستورد من الخارج كل شيء حتى اللحوم ، والسمك ، والماء المقطر ، ومرق اللحم ، وطبيخ الأرض . أما الخامات فإنها تبقى لدينا مهملة حتى تبور ، أو تصدر إلى الخارج بأبخس الأمان

وقد ثبت للساهرين ان الدول المستعمرة : ربحت من نفطنا عام ١٩٥٥ م إساوي (٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٥٠٠) خمسة الف مليون دولاراً أمريكيّاً ١١ وقد تضاعف فيضان الآبار ، كما اقتصرت آبار جديدة ، فكان ربح المستعمرين كل عام يربو على : (٠٠٠٠٠٠٠٠٠٩٠٠) تسعة الف

(١) نفس المصدر ص ١٣ .

مليون دولاراً) أمريكياً !!! (:) أما نصيب المسلمين من نفطهم فليس إلا فتاتاً من موائد المستعمرين ، توزع على الملوك والامراء ثم على الموظفين أما الوطن الاسلامي الكبير ، فلا نصيب له منه .

كل ذلك سوى عائدات الذهب ، والنحضة ، والكبريت . . .
وسائر المعادن والخامات التي تصب أرباحها السخية في مصارف المستعمرين وترش القطرات في بلادنا ثم لا تأتي إلى بلادنا وإنما تجمد - باسم الأمانة - في بنوك المستعمرين ! حتى أصبح ل الكويت وحدها في مصارف لندن ، نحو : (. . . ٧٠٠٠٠٠ ر. سبعمائة مليون جنيه استرلينياً) .

والأمثلة لمصادر الثروة المعطلة لدينا كثيرة ، وكل شيء عندنا طاقة معطلة (٢) .

-
- (١) الدكتور سعيد محمد عودة : رسالة الثروة المعدنية ص ٩
(٢) قامة القاهرة وحدها تستطيع ان تحصل منها على ٠٠٥٧٥
مائتين وخمسة وسبعين ألف طناً من السماد ، كل عام ! وب الرغم هذا
فإن الدولة قد اعتمدت منذ ثلاث سنوات ، مليون جنيه ، لاقامة
مصنع لحرق القامة !
ان الدولة تسمح بتصدير قرون الحيوانات وحوافرها مع ان هذه =

قصور المهمة

يقول الاقتصاديون الرأسماليون : ان الثمن هو الدافع الوحيد نحو الانتاج ! لأن الحافز على بذل أي مجهود إنما هو الحصول على منه ، أو بدلـه المعادل بالثمن ! فالثمن هو الهدف من الانتاج .

وهذا الكلام ينم عن مدى ضيق ، والاتجاه المادي ، في الفكرة الرأسمالية ! ولم أدر ؟ لم يسمع الاقتصاديون بأناس يصلون ، ويصومون ويحجون ويزكون ، وينصتون اتجاهـهم للجهات الخيرية ، الله ، والجزاء الآخرـوي فقط . ؟ أو لم يقرـوا توارـيخ العظـماء الذين بذـلوا فوقـالمـستـحـيل من الجـهـود ، لا لأـيـ منـ أوـ جـزـاءـ مـادـيـ ؟ لمـ يـبلغـهمـ أنـ (ـ جـونـ روـ كـفـلـ) خـدـمـ البـشـرـيـةـ بـأـ كـبـرـ ثـرـوـةـ جـمـعـهاـ اـنـسـانـ (ـ ١ـ) وـأـنـ (ـ انـدـروـ كـارـنيـجيـ) وـهـبـ الجـمـعـيـاتـ الخـيـرـيـةـ (ـ ٣٦٥ـ نـلـامـئـةـ وـخـمـسـةـ وـسـتـيـنـ) مـلـيـونـاـ منـ

ـ الـبـقـاياـ تـحـتـويـ عـلـىـ ٢٥ـ٪ـ مـنـ الـمـوـادـ الـعـضـوـيـةـ !
انـ صـنـاعـةـ عـصـرـ الـزـيـوتـ فـيـهاـ طـاقـاتـ معـطـلـةـ بـنـسـبـةـ ٦٠ـ٪ـ أـمـاـ صـنـاعـاتـ
الـمـسـلـىـ ، وـالـحـلـوىـ ، وـالـطـابـوقـ فـنـسـبـةـ الـعـطـلـ بـهـاـ ٧٤ـ٪ـ . (ـ الـاسـلـامـ وـالـطـاقـاتـ
مـحـمـدـ الغـزـالـيـ صـ ١٥ـ - ٢٠ـ) .
الـعـطـلـةـ .

(١) دـعـ القـلقـ صـ ٤١٢ـ - ٤٢١ـ .

الدولارات (١) ثم لم يحصلوا من وراء ذلك سنتاً من الثمن المادي . . .
أم غاب عنهم : أن رجال الأعمال يكذبون ليدفعوا الضرائب
الجاءرة ، بلا بدل . . .

فلو كان الدافع الوحيد على بذل أي مجهود ، مكافأته المادية لاماسخى
هؤلاء بجهودهم ، ونفس الأمان التي يعتبرونها الحماقة على الانتاج !

توزيع جهاز

ينص النظام الاقتصادي الرأسمالي على أن الثمن هو المنظم لتوزيع
الأعمال على الأفراد ! فان القانون المقرر « من لا يعمل لا يأكل ! » يحفز
كل فرد على العمل ، ليحصل الثمن فيحصل بازاته ما يأكل ! وهكذا توزع
الأعمال على الأفراد ، كل حسب طاقاته الانتاجية .

وهذه الفلسفة الأفلاطونية ، مثالية أكثر مما هي واقعية ! لأنها
- بالفعل - لم توزع الأعمال ، كما كان يحلم به القادة المبدئيون من أصحاب
هذه الفكرة . . . فانا نرى اليوم في البلاد الرأسمالية : من يعمل كثيراً ثم
يقتات الجوع والتعب ، ومن لا يعمل إلا قليلاً ويعيش في بلennie ورخاء .

(١) نفس المصدر ص ٢١٧ .

وهذا أكثراً شاهد على مثالية هذه الفكرة . ١

ثم إنها تقرر : أن لا يستحق الحياة إلا من كان قادرًا على الانتاج فلن خلق ضعيفاً ، أو أزاحته الظروف المعاكسة عن العمل ، فليس له أن ينال من ثروة البلاد ما يطارد عنه الموت (١) أما من خلق قوياً ، أو أتاحت له الظروف المواتية : أن يختصر جهود الناس في موائده ، ويتوسع في الحيازة والاحتكار ، فله كل الحق في التخمة والسيطرة والسيادة !

وكذلك من يحجزه الواقع الديني ، أو القيم الخلقية أن يستنزف الدماء والدموع فهو فاشل متربص متهدى عن خوض معركة الحياة

(١) في عام ١٥٣٠ قرر « هنري » الثامن ماري : على المسؤولين المتقدمين في السن ، والعاجزين عن العمل أن يتناولوا رخصة المسؤول . .
ـ (كارل ماركس ، رأس المال ج ٣ ص ٢٦٨) .

ويقول ماركس : إن التقرير الأسبوعي الرسمي عن الوفيات يعدد خمس حالات من الموت جوعاً في لندن وذلك في الأسبوع المنتهي في ٢٦ شباط ١٨٦٤ م وتورد « التايمز » في اليوم نفسه حالة مماثلة إضافية (نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤١) .

فعليه أن يبقى حليف التقشف والحرمان . !! ومن سمحت له القحة السافرة أن يدوس الدين والضمير وينازع الفرص للتطاول والانتهاز ، ويكرس بين يديه من فائض البغاء والفجور ، أكوا م الفضة والنضار . فهو بطل الحياة النابغ ، وإنسان قرن العشرين ، الذي لا بد أن يطوق بهالة من الأكبار والتقدير .

وقدر بنفسك مقدار الصحة ، في هذه المكرة العاتية المتمردة على نواميس الإنسانية الكافرة بالحياة وقيمها النبيلة .

موضع الشممه

والاقتصاديون الرأسماليون يقدرون الثمن . معدل المجهودات التي يقدرها الأفراد إلى الأفراد ! وهذا غير صحيح لأن نزوى الناس يبيعون الخامات ، التي لم يعملا على تحسينها . بل الثمن قد يكون معدلاً الخامات ، كالاجور التي يتلقاها العمال المستخدمون ، وتارة يكون معدلاً الخامات فقط ، كالثمن التي يأخذها أصحاب الخامات ، وربما يكون الثمن معدلاً للمجهود والخامات معًا ، كالثمن التي يأخذها الباعة فإذاً ليس الثمن معدلاً للمجهودات وحدها .

أُسْعَارٌ بِالْهَضْنَةِ

كما ان ميكانيكية الشمن تقصر عن تعديل الأسعار و التنافس الحر ان يضمن ذلك أبداً ! لأن الشركات التي لا تجد منافساً لها ، تستغل حاجة الناس إليها ، وترتفع بشمن إنتاجها إلى أرفع مستوى . . . والشركات المتنافسة تتفق على سعر جائز ، ونهם التجار يقضى على التنافس الحر - ولو إلى درجة - . والمنتجون الكبار لا يخوفون بقلة الطلب ثم الخسارة ! لأن الحاجة ترغم الأفراد على الطلب منها كانت الأسعار وإن كان يقل نسبياً . . . ثم لا ترهبهم الخسارة منها كانت باللغة لأنها لا تؤرق في ثرواتهم المكيدة . والآن يوجد في الهند اناس متراهون ، يملكون الاراضي الشاسعة ولا يزرعون إلا قسمان منها ، ويدعون الباقي من تعاماً خصيصاً للهؤم وصيدهم ، والتنزه في أوقات الفراغ ومسير حارحيباً للشمس والقمر والوحش . . . ولا تهد الخسارة من رعيتهم العريضة . . .

وأما أصحاب الشركات الكبرى كشركات البترول والسيارات والمصانع الثقيلة ، والاحتكرات العالمية ، فانهم يتحكمون في الأسواق ، ويفرضون على المستهلكين أثماناً معينة ، ثم لا تهمهم ندرة الطلب في بلادهم

أو في الأسواق العالمية ، لأنهم يصرفون بضائعهم في مستعمراتهم بأي ثمن شاؤا ، ولأن الاحتكار يلجم الناس إلى الرضوخ لهم .

لذلك جرت محاولات لترفع الاقتصاد الرأسمالي ! فجعلوا الدولة الحق في تحديد الشئون ، حماية الاقتصاد الأهلي والمستهلكين ، من سلطة المحتكرين ! غير أن الرجال الماليين اشتروا ضمائر المسؤولين وملثوا أفواههم بالرشى ، وردوا أصوات الشعب إلى صدورهم .

ثم إن تحديد الأسعار من قبل الدولة ينافق الخط العريض ، في النظام الرأسمالي الديمقراطي وهو : حرية الاقتصاد .

هذا بالنسبة إلى السلع ! أما الخدمات العامة فقد أصبحت غير قابلة لتحديد أسعارها في البلاد الرأسمالية . . فالموظفون الكبار يرثون رواتبهم يوماً بعد يوم ، لأنهم يتولون دفة الحكم ، وليس هناك من دين أو ضمير يحاسبهم عليه ، والأطباء ، والجراحون يقدرون « المعاينة » و « القدمية » و « العملية الجراحية » بما يشاءون ، وكثرة المرضى ، وتفتقهم بهذا أو ذاك ، لا تدعان مجالاً للتنافس . . كما سار على نفس الخطأ المحامون ، والمهندسوں ، والكتاب ، والمعلمون (۱) .

(۱) يتحدث عن هذا الأمر « جون بيلرز » عنه يقول : « إن العلمين والعمال من سوء الحظ يخوضون حرباً أبدية ضد بعضهم البعض . .

اجور مترادفة

وقد عجز جهاز الثمن عن توفير اجور العمال والمستخدمين ! فبعدما تمحض العلم عن ميلاد الآلة ، التي استقلت بأفধ الأعمال ، إستفنت الشركات عن قسم كبير من العمال ! وعن العمال الرجال بالنساء والأطفال حتى أصبح التنافس بين العمال على العمل ، بينما الغي التنافس بين أصحاب الأعمال على العمال ، فرض العامل بالاجر الزهيد ، لأنّه خير من البطلة ، وأخذ صاحب العمل يدلل ويماكس ، لأن العامل لا يشق أن يجد غيره من الاعمال ، وصاحب العمل متأكد : أن في كل يوم يعرض عليه عدد من العمال . . وقد إستعصت المشكلة ، وتفاقم الأمر بعد ما دخلت النساء والأطفال في المعمل ، باجور ضئيلة فرب أصحاب المعامل لأشغال النساء والأطفال لقلة أجورها ، ولرغبة الذاتية فيها .

هكذا أصيّب العمال والمستخدمون بضئولة الاجور ، دون أن يزيحها جهاز الثمن = الذي علق عليه الاقتصاديون الرأساليون آمالهم . .

= فالمثال لا هدف لهم إلا إنجاز العمل بأبخس ثمن ممكن . . فيما الآخرون ينتهزون كل فرصة تسمح لهم بالمطالبة باجور أرفع . .

واكبر شاهد على ذلك : أذك تجده كل يوم ، في كل صحيفه أو إذاعه :
إضراب العمال ضد قلة الأجر .

استخدام النساء والاطفال

واكفي الآن بنقل هذه الصفحات من كتاب « رأس المال (١) »
(حين تجعل الآلة القوة العضلية شيئاً عديم الجدوى ، تسمح باستخدام
عمال لا يتمتعون بقوه عضلية كبرى ، لكن أطرافهم تكون أكثر مرؤة
بقدر نقص نموها ، وعندما استولى رأس المال على الآلة ، كان شعاره
هو التالي : عمل النساء ، عمل الاطفال ، وهكذا فان هذه الواسطة
الجيارة لانفاص جهود الانسان ، قد تحولت في الحال إلى واسطة لزيادة
عدد المأجورين ، لقد أخذت سائر أفراد العائلة تحت عصار رأس المال ،
دون تمييز للسن أو الجنس . إن العمل الاجباري لحساب رأس المال
قد سلب ، لامكان ألعاب الطفولة فحسب ، بل مكان العمل الحر البيئي
تأمين معيشة العائلة : ولا ننس ان القاعدة الاقتصادية للعادات العائلية لم

(١) : رأس المال ، كارل ماركس ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٢

تُكَنْ سُوِيْ هَذَا الْعَمَلِ الْبَيْتِيِّ (١) .

وَلَقَدْ كَانَتْ قَوَةُ الْعَمَلِ مُحَدَّدَةً بِتَكَالِيفِ مَعِيشَةِ الْعَامِلِ وَعَائِلَتِهِ ،
وَلَكِنَّ الْآلَةَ حِينَ الْقَتْ بِالْعَائِلَةِ جَمِيعَهَا فِي السُّوقِ ، وَوُزِعَتْ هَكَذَا قِيمَةً
قَوَةً وَاحِدَةً ، عَلَى قَوْيِيْ عَدِيدَةٍ ، قَدْ انْفَصَتْ مِنْ قِيمَةِ تَلْكَ القَوَةِ وَيُمْكِنُ
أَنْ تَدْرِي الْقَوْيِ الْأَرْبَعَ ، مَثَلًا الَّتِي تَبِعُهَا الْعَائِلَةُ الْعَالِيَّةُ الْآنَ رَبِّاً أَكْثَرَ
مَا كَانْ يَجْنِيَهُ مِنْ قَبْلِ رَبِّ هَذِهِ الْعَائِلَةِ بِقُوَّتِهِ وَحْدَهَا ، وَلَكِنَّ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ

(١) حِيثُ كَانَتِ الْأَعْمَالُ تَسْتَغْرِقُ جَمِيعَ نَشَاطِ الْأَفْرَادِ ، حَتَّى
لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ تَتَمَكَّنْ بِفَرَاغِ تَقْوِيمِهِ بِالْأَعْمَالِ الْبَيْتِيَّةِ أَوِ الْعَائِلَيَّةِ ، وَقَدْ أَرْسَلَتِ
الْحُكُومَةُ الْإِنْكَلِيزِيَّةُ ، فِي الْأَزْمَةِ الْقَطْنِيَّةِ الَّتِي رَافَقَتِ الْحَرْبَ الْأَهْلِيَّةَ
الْأَمْرِيَّكِيَّةَ الدَّكْتُورَ (أَدْوارِدْ سِمِيثْ) إِلَى (لَانْكَشِيرْ) وَ (شِيشِيرْ) وَ ..
كَيْ يَضْمَعْ تَقْرِيرًا عَنْ حَالَةِ الْعَمَالِ الصَّحِيحَةِ ، وَتَقْرِيرًا فِي هَذَا التَّقْرِيرِ :
(تَتَحْلِي الْأَزْمَةُ بِمَحَاسِنِ عَدِيدَهُ : فَانْ لِزَوْجَاتِ الْعَمَالِ - الْآنَ - مَا يَكْفِي
مِنْ الْوَقْتِ كَيْ يُعْطِيَنِي أَنْدَاهُنْ لَوْلَاهُنْ) .

وَكَذَلِكَ فَقَدْ وَجَدَنِ الْوَقْتَ كَيْ يَتَعَلَّمُنِ فِنِ الطَّهِيِّ ..
وَإِنَّكَ تَلَمَسْ مَدِيَ إِسْتَبْشَارَ هَذَا الدَّكْتُورَ لِظَّفَرِ النِّسَاءِ بِهَذَا الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ
وَهَذَا يَكْشِفُ عَنْ مَدِيَ قَسْوَةِ الْعَمَلِ قَبْلِ ذَلِكَ .

عمل قد قامت كذلك مكان يوم واحد ، وأنخفضت أسعارها بنسبة زيادة العمل الفائض ، الذي تحويه الأيام الأربع إلى العمل الفائض الذي يحييه يوم واحد . ومن الضروري الآونة : أن يقدم أربعة أشخاص لرأس المال لا العمل فحسب ، بل العمل الفائض أيضاً ، كي تتمكن عائلة واحدة من تأمين مواردها . وهكذا فإن الآلة حين تزيد المادة القابلة للاستثمار تزيد درجة الاستثمار في الوقت ذاته .

خسائر وجوه أسم

وأقد أدى دخول المرأة ، والطفل ، والآلة ، في العمل إلى الخسائر التالية :

اضرارات ضد الآلة

إن العمال - بطبيعتهم - يُؤدون الجهد والخدمات الكافية ، لأشباع حاجات المجتمع ، وفي نفس الوقت يعيشون باجورهم وتبقى لهم الحرية في العمل لهذا أو ذاك ، أو الاستقلال بالعمل ، أما إذا دخلت الآلة في العمل فسوف لا يتوفّر لهم العمل منها أرادوا ، ولمن شاؤا ، وقد أحسن العمال بذلك ! ولهذا كرهوا الآلة ، وقاموا ضدها بحروب

لا هواة فيها !!

في عام ١٦٢٩ م في «ليد» استعملت آلة للنسيج فأجبرت المظاهرات ، القضاة على تحريرها ! . وقد خشي الحاكم : أن يحول هذا الاختراع عدداً كبيراً من العمال إلى مجرد متسلين (١) .
فدم الآلة ، وختق مخترعها ، أو أغرقه !! .

وفي القرن السابع عشر ، قامت عصيانات عمالية ، في أروبا ، بأسرها تقريراً ! ضد آلة النسج الأشرطة والدنتلة ، وقد حرمت نفس الآلة ، في «كولونيا» عام ١٦٧٦ م . وأدخلت في إنكلترا ، فأنارت إضطرابات عمالية كبيرة ، بين عمال النسيج .

وصدر مرسوم إمبراطوري عام ١٦٨٥ م يحرم استخدامها في كل المانيا . وفي «هامبورغ» أحرقت أمام الملأ ، بأمر من الحاكم ! وعندما ركب «إيفريت» عام ١٧٥٨ م الآلة المائية لجز الصوف ، فإن مائة ألف

(١) وكذلك انقلب العمال ، بصورة جماهيرية إلى متسلين ، ولصوص ، ومشردين ، حتى اضطررت السلطات إلى مكافحة هذه التحولات الفجائية التلقائية ، بفرض العقوبات الدامية ، ولكن عيناً كان ذلك !! .

رجل جعلتهم هذه الآلة عاطلين ، أحالوها هباءً منشوراً . وإن خمسين ألف عامل يكسبون معيشتهم من طريق تمشيط الصوف ، أرهاه والبرلمان برأضهم المناهضة لآلة التمشيط . والتجىء العمال إلى تدمير آلات عديدة في المناطق « المانيا فاكتوريه » الانكليزية ، في السنوات الخمس عشرة الأولى من القرن التاسع عشر . وفي (شيفيلد) عام ١٨٦٥ م قامت ثورة عمال صقل المبارد ضد آلة تؤدي نفس العمل .

و كذلك تتابعت ثورات العمال ضد الآلات بين فترة وأخرى (١) .

أعمال فادحة

لقد استمر الصراع بين العامل والآلة غير طويل حتى انتصرت الآلة على العامل (٢) واستقرت المكان في قلب المدن ، وأخذت تصلك

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧٣

(٢) ولا يعني تسجيل هذه الملاحم : أننا لا نرضى باستخدام الآلة ، ونجده : ان يستبد الناس بالأعمال اليدوية ! وإنما ننكر سوء إستغلال رأس المال الآلة ..

الأسماع بهديرها الصاخب ، وتلفظ دخانها في أجواز الفضاء ، بكل جرعة وإعتزاز . . وذابت غلواء العمال أمام روعة هذا الكائن القاتل . .

هنا عرف أصحاب رؤس المال : ان لا حاجة لهم إلى العمال الفنيين الذين يجيدون الأعمال ، ويتقاضون بازائتها أجوراً متكافئة . ! فالآلة تسمح لصبي صغير لا تجربة له بتشغيل نول كامل بسائر مكاكيمه ، . . وما دام في المعمل مهندسون ، فلا يضر جهل العمال بعد ذلك . .

وكذلك جعلوا ينتدبون للعمل ، الفلاحين ، الذين كانوا ثارين على الاقطاع ، منذ زمن بعيد ، والنساء اللواتي سلخ رأس المال دينهن وضميه هن وصور لهن الحياة عملاً كبيراً ، والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم ولم يعرفوا من الحياة إلا الدراهم الملاعة . . واخذوا يغرون الفلاحين بالعمل ، تحت شعار التحرر من عبودية الاقطاع . . والنساء باسم الانطلاق من سيطرة الرجل وتحطيم كبت الرجمية ، والقبور السوداء . . والاطفال باسم الدرام والدناير ، والعمل والعمل وفيها للطفل كل إغراء !

كل ذلك لأن الفلاح تعود ، أن يعمل طويلاً ، ويربح قليلاً ومرنة مرتنت على أن تعمل دون أن تتناهى شيئاً وكذلك الطفل . . فيمكن إستغلال هؤلاء في الأعمال الطويلة بأقل أجر ممكن . . ولم يحسب الفلاح

ولا الطفل ولا المرأة هذا الحساب . . والعمال الذين عرفوا هذه الحقيقة فشلوا في مقاومة الآلة أول الأمر ، فلم يفعلوا الآن شيئاً وخلدوا إلى المحتوى ، غير أن قسماً منهم رضخوا للعمل بمثيل أجور الفلاح التي كانت أرفع من أجور المرأة والطفل قليلاً ، والقسم الآخر ألغوا عصابات إجرامية وأخذوا يذرعون الشوارع ، ويمليئون المقاهي والحانات ، ثم السجون .

وبذلك أصيب العمال بفداحة العمل ، فقد كان عليهم أن يعملوا طويلاً بأجور هزيلة ، كما يقول ماركس : (. . ليس من النادر أن نرى في نوتنجهام خمسة عشر ، أو عشرين ولدآً مكذبين كالسردين في غرفة صغيرة لا تزيد مساحتها عن — ١٢ — قدمآً مكعبة ، وهم منهمكون طوال خمس عشرة ، أو أربع وعشرين ساعة ، في عمل مرهق الرتابة وفي ملء هذه الظروف الضارة بالصحة . . حتى أصغرهم سنآً يشتغلون بانتباه مركز وسرعة تبعثان على الدهشة وهم لا يسمحون مطلقاً لأصحابهم بالتواني أو الراحة .

وإذا واجهت إليهم بعض الأسئلة فهم لا يرتفعون عيونهم عن عملهم وذلك خوفاً من خسارة برهة وجيزة من الوقت (١) ٠

فالعمال عليهم أن يستمروا عبر هذه الأوقات الطويلة : خمس عشرة أو أربع وعشرين ساعة في عمل مرهق الرتابة .

وفي أماكن ضيقة تحت الأرض أو فوقها يلتهم العازف فيها الأوكسجين إلتهاماً ، كما يتحدث عن ذلك المفتش (لورد) قائلاً : (٠ ٠ إن الشعور الذي ينتاب المرء لدى دخوله في مثل هذا المكان ، حيث يشتعل ثلاثة أو أربعون عاملة معًا هو شعور لا يطاق في الحقيقة .

وإن الحرارة الصادرة من الأفران التي تسخن المكواوى فيها الترسل القشريرية في البدن . . . وحتى في الورشات التي يسودها عمل يقال عنه : إنه معتدل يعني من الثامنة صباحاً حتى السادسة مساءً فان ثلاثة أو أربعة أشخاص يعمى عليهم بصورة منتظمة يومياً (١) .

قسم الأدلة

أما قلة الأجور ، فكان أثراً طبيعياً لاستخدام الفلاحين ، والنساء والأطفال ، تحت قيادة النظام الرأسمالي ، حتى أصبح مرتب العامـل الواحد يقصر إعالة نفسه فقط ، أما عائلته فكان على افرادها ان يعملوها فيما كانوا ، وهذا ما شجع على تحطيم الاسرة ، وتفكيك

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤١

عنصرها .

وفي الحقيقة كان إستخدام الرأسمال للنساء والأطفال يدل جوهر العقد ، الذي كان شرطه الأول : تقدم الرأسالي والعامل ، وجهاً لوجه بصفتها شخصين حرين ، كلها تاجران : يملك احدها المال أو وسائل الانتاج ويمتلك الآخر قوة العمل . . لقد اتقلب هذا العقد كله رأساً على عقب ! فأصبح إستخدام النساء والأطفال اشبه بشرائهم وأخذ الطلب على عمل الأولاد كثيراً ما يشبه - حتى في الصيغة الاسلوب - الطلب على العبيد . . !

وفي مقاطعة (بنتال غرين) وهي اسوأ مناطق لندن شهرة ، قام كل يوم اثنين وثلاثاء سوق عامة يبيع اطفال في التاسعة - من الجنسين - انفسهم لأرباب عمل الحرير ، ويقول احد الأطفال في افادته عن شروط عمله الأسبوعي : (ان الشروط العادلة هي شلن واحد وثمانية بنسات ، أسبوعياً (تعود للأبوين) زائد شلنين لي مع الشاي) .

ويحدث في انكلترا - ايضاً - : ان بعض الشحاذات الاناث ، يأخذن اولاداً من الملاجئ ، ويؤجرنهم لأي شارك ان مقابل شلنين ، وستة بنسات في الاسبوع (١) .

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٤

وكلما فرض القانون : حدود الست ساعات لعمل الأطفال في فروع الصناعة ، غير الخاضعة للأنظمة ارتفعت من جديد شكاوى ارباب العمل وهم يقولون : ان عدداً كبيراً من الآباء يسحبون ابنائهم من الصناعات ، منذ خضوعها للقانون كي يلبيوهم للصناعات حيث يسود بعد (حرية العمل) يعني حيث يجبر الأولاد الذين دون الثالثة عشرة ، على العمل مثل البالغين ، وبالتالي يباعون بشمن أكبر !

ولكنه لما كان رأس المال مسوياً للفوارق بطبيعته فإنه يطالب باسم حقه الطبيعي ان تكون شروط استثمار العمل متساوية بالنسبة الى الجميع ، فيسائر مجالات الانتاج . . . وهكذا فإن التمديد القانوني لعمل الأطفال في احد فروع الصناعة يؤدي الى تحديده في الفروع الأخرى (١) .

ولم تختلف كثيراً الاتفاques مع الرجال والنساء ، عن الاتفاques مع الأطفال . . .

حوادث وجرائم

وقد أصيّب العمال من الجنسين ، على اثر ارهاق العمل ، وضؤلة

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٥

الاجور ، بأزمة إقتصادية ، وصدمـة صحـية بعيدـة الـأثر في حـياتـهم ، غيرـان
ضـحـايا الأـطـفالـ كانتـ أـكـثـرـ وـأـكـثـرـ لـطـفـولـةـ عـضـلـاتـهـمـ ، وـصـوـنـةـ قـوـائـهـمـ
الـواـئـيـةـ عنـ مـقاـوـمـةـ الـارـهـاـقـ الدـائـبـ . .

نـكـتـيـفيـ هـنـاـ بـالـوـقـوفـ عـلـىـ نـقـطـةـ وـاحـدـةـ هـيـ النـسـبـةـ العـالـيـةـ لـوـقـيـاتـ اـبـنـاهـ
الـعـالـلـ فـيـ السـنـوـاتـ الـأـوـلـىـ مـنـ حـيـاتـهـمـ ، فـيـ إنـكـلـتـرـاـ ١٦ـ مقـاطـعـةـ تـجـريـ
فـيـهاـ الـاحـصـاءـاتـ حـيـثـ لـاـ تـقـعـ فـيـ السـنـةـ سـوـىـ ٩٠٠٠ـ حـالـةـ وـفـاةـ وـسـطـيـاـ مـنـ
أـصـلـ ١٠٠٠٠ـ طـفـلـ !

وـنـجـدـ فـيـ ٢٤ـ مقـاطـعـةـ : أـنـ هـذـهـ النـسـبـةـ تـبـلـغـ : ١٠ـ - ١١ـ أـلـفـ
وـفـاةـ ، وـفـيـ ٣٩ـ مقـاطـعـةـ ١١ـ - ١٢ـ أـلـفـ وـفـاةـ ، وـفـيـ ٤٨ـ مقـاطـعـةـ
١٢ـ - ١٣ـ أـلـفـ وـفـاةـ ، وـفـيـ ٢٢ـ مقـاطـعـةـ أـكـثـرـ مـنـ ٢٢٠٠ـ وـفـاةـ ، وـفـيـ
١١ـ مقـاطـعـةـ أـكـثـرـ ٢٣٠٠ـ وـفـاةـ ، وـفـيـ مـنـاطـقـ : (ـهـوـ)ـ وـ(ـوـلـفـرـهـامـبـشـونـ)
وـ(ـبـرـسـتوـنـ)ـ أـكـثـرـ مـنـ ٢٤٠٠ـ وـفـاةـ ، وـفـيـ مـنـاطـقـ : (ـنـوـتنـغـهـامـ)
وـ(ـسـتـوـكـسـبـورـتـ)ـ وـ(ـبـرـادـفـورـدـ)ـ أـكـثـرـ مـنـ ٢٥٠٠ـ وـفـاةـ ، وـفـيـ مقـاطـعـةـ
(ـوـيـسـبـيـتـشـ)ـ ٢٦ـ . . . وـفـاةـ ، وـفـيـ (ـمـانـشـيـسـتـرـ)ـ ٢٦١٢٥ـ وـفـاةـ (ـ١ـ)ـ .
وـقـدـ أـثـارـتـ هـذـهـ النـسـبـةـ العـالـيـةـ لـضـحـاياـ هـيـجـةـ سـارـيـةـ ، الجـثـتـ
الـحـكـومـةـ إـلـىـ تـحـديـدـ عـلـمـ الـأـوـلـادـ قـبـلـ الثـالـثـةـ عـشـرـةـ بـ٦ـ سـاعـاتـ فـقـطـ . .

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٥

غير أن هذا التحديد لم يحد من جشع الرأسماليين ، فالكثيرون لم يخضعوا لهذا التشريع نهائياً ، متسترين بالفاظ وأسماء ! والآخرون جعلوا ايشترون خمار الأطباء المكلفين بالتفتيش عن أعبار الأحداث في المعامل ، فكانت التقارير تتفق مع المواد القانونية ، عندما كان الواقع يكذبها !
لكن الأطفال ربحوا بعض شيء عن هذه الضجة الصاخبة ، وخفت فيهم نسبة الوفيات والأمراض نسبياً .

غير أن المرأة لم تجد لها نصيراً ! فظلت تعمل إلى جانب الرجل وتأخذ أجور الأطفال . (١) رغم أن قواها الجسدية كانت تقصر عن قوى الرجل وهذا خسرت صحتها (٢) وأسرتها دون أن تربع شيئاً .

(١) - والفتيات المستغلات لا يتناولن سوى شلن أو شلن ونصف يومياً ، بينما لرجل يتناول شلنين ونصف الشلن «الرقم ١٨١٦» نفس المصدر ج ٢ ص ٢٨٣ »

(٢) - إن المصاين بالسل من أصل ٨٨٦ عاملة دنتلة تتراوح أعمار معظمهن بين ١٧ - ٢٤ تحصيها اللوحة التالية الدكتور «ترومان» طبيب المستوصف العام في «نوتنجهام» :

خطب النساء

فالفتاة التي تستنزف نشاطها وطاقاتها في المعمل ، تقصّر عن القيام بفرائض الزواج ، وإنجاح الأطفال .

والرجل الذي ينبو راتبه عن إعالة نفسه ، يجمع عن النهوض بواجبات الزواج وتتكاليف الأسرة ، ونفقاتها الدائمة ، منها كلفه الأمر .. خصوصاً كلامها يجدان في نفس المعمل ، أو خارجه ، ما يشبع الرغبة الجنسية ، كما يسجّل هذه الملحوظة العامة الدكتور « سيمون » : « بالرغم من كون وجهة نظري الرسمية هي صحية تماماً فان أبسط العواطف الإنسانية لا يمكن أن تسمح بتجاهل المظاهر الآخر للشر .. ذلك أنه : (فرط الزحام) يتضمن بالضرورة - تقريراً - في درجاته العليا إنكاراً

١٣ على ١٠٠٠٠٠	١٨٥٧	٤٥ على ١٠٠٠٠٠	١٨٥٢	=
١٥ على ١٠٠٠٠٠	١٨٥٨	٢٨ على ١٠٠٠٠٠	١٨٥٣	
٩ على ١٠٠٠٠٠	١٨٥٩	١٧ على ١٠٠٠٠٠	١٨٥٤	
٨ على ١٠٠٠٠٠	١٨٦٠	١٨ على ١٠٠٠٠٠	١٨٥٥	
٨ على ١٠٠٠٠٠	١٨٦١	١٥ على ١٠٠٠٠٠	١٨٥٦	

« نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٢ »

مطلقاً لكل حياء ، وإختلاطاً قدرأً للأبدان ، والوظائف البدنية ، وعرضأً للعرى الحيواني والجنسى ، هي قينة بالوحوش ، بالآخرى من الإنسان . وإن الخضوع لمثل هذه التأثيرات يشكل إنحطاطاً لا بد أن يصير أعمق فأعمق ، بالنسبة إلى أولئك الذين يستمر فعلها فيهم ، وأما الأطفال الذين يولدون تحت ظل لعنتها ، فـما أكثر ما تشكل لهم معمودية للفجور (١) .

وكما أعلنت لجنة طبية التقرير التالي :

«إن نساء متزوجات يعملن في جماعات مع فتيات وشبان ، يوضعن تحت تصرف المزارع ، مقابل مبلغ معين من المال يتتقاضونه من شخص يحمل اسم رئيس العصابة ، وهو لا يبيع هذه العصابات إلا كاملاً . وكثيراً ما يكون ميدان عمل هذه العصابات بعيداً عن قراهم مسافة عـدة أميال ، ويراهن المرأة صباح مساء على الطرقات العامة ، النساء منهم يرتدين تدورات قصيرة ومتـناسبة ، ويلبسن أحذية وسرابيل في الآخرـاين ، قويات مـمتلـيات صـحة ، لكن مفسـدـاتـ بـذـلـكـ التـحرـرـ الـخـلـاقـيـ المـأـلـوفـ عـنـهـنـ ، غيرـ آـبـهـاتـ مـطـلـقاًـ لـعـقـآـبـيلـ المـقـيـتـهـ ، التي سـتـنـشـأـ عـنـ هـذـاـ النـوـعـ منـ الحـيـاةـ النـشـيـطـةـ وـالـعـجـزـيـةـ ، بالـنـسـبـةـ إـلـىـ ذـرـيـتـهـنـ ، التي تـبـقـىـ فـيـ الدـارـ

ووحدها، وتهي وحدها (١) .

فإذا علم الرجل العسر : أنه يستطيع أن ينال الارثواه الجنسي عن غير طريق الزواج ، وحتى لو تزوج بامرأة فانها لا تختلف عن سائر نساء المعلم المائمهات ، فلا بد بعد ذلك أن يستغنى عن الزواج .. كما ان الشابة الطالعة سوف لن ترضى أن تربط نفسها بعجلات الاسرة ، وهي تحمل بالانطلاق الكامل ، وتسعي لاقتحام الوظائف ، وإسلام المناصب وتسم المسؤليات (٢) وهكذا إمتنع كل من الجنسين عن الزواج واستغناه آبا بالبغاء وتبرمأ عن تحمل تبعات الزواج من النفقات ، والتكليف والالتزام بالمراسيم السائد ، وإنجاب الأطفال .. حتى أصبح معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون في فرنسا اليوم لا يعلو سبعة أو ثمانية في الألف (٣)

(١) نفس المصادر ج ٢ ص ١٢٨

(٢) إن في «غانانا» ٦٪ من المشغلين بالمغارف من النساء . كما ان النساء أصبحن ٩٥٪ في سائر الوظائف .

«مجلة الوادي» عدد ٢ سنة ١٢ . السبت ١٩ مارت ٩٦٠

ص ٢٨) .

(٣) ابو الأعلى المودودي . الحجاب ص ١١٥

اشاعة الفحشاء

كل هذه العوامل كان لها الأثر البعيد في تحرير المجتمع من كل معنى من معاني الفضيلة ، وإشاعة البغاء المكتوم ، والتفسيخ الخلقي الرهيب إضافة على أن استخدام المرأة في الوظيفة أو المعلم ، يعني إستباحتها لمن يرأسها ، ولمن هو أعلى رتبة منها . . . وإليك بعض ماجاء في استجوابات تقرير لجنة التحقيق عام ١٨٤٠ :

— ما رأي عمال المناجم في عمل النساء في المناجم ؟

— إنهم يديرونه على العموم !

— لماذا ؟

— هم يجعلونه مذلاً للجنس ، مسيئاً إليه . إن النساء يرتدين ثياب الرجال . . وإنهن يلقين بالحياة جانباً في بعض الأحوال .

— أتريد إذن تحرير عمل النساء في المصانع أيضاً ؟

— كلا ، لا أريد ذلك !

— لم لا ؟

— إن العمل في المصانع أكثر حرمة ، وموافقة للجنس المؤنث . .

— ومع ذلك فأنت تعتقد أنه يسيء إلى أخلاقهن ؟

— ولكنه لا يسيء إليها بقدر ما يفعل العمل في المناجم ، بل إن الفارق الشاسع بين العملين ، وعلى أية حال فأنا لا أقول ذلك عن وجهة النظر الأخلاقية فحسب ، بل من وحمة النظر الماكية والاجتماعية أيضاً ، إن الانحطاط الأخلاقي للفتيات لشديد وفاجع ، وعندما يصبح هؤلاء الفتيات زوجات عمال المناجم ، فإن الرجال يتلمون كثيراً من انحطاطهن وهذا ما يؤدي بهم إلى هجران البيت ، والانكباب على الخمرة .

... — أيمكنك أن تكشف فارقاً بين هذين الصنفين ؟

— لم أتأكد من أي شيء . . . لكنني أعرف من زيارتي إلى البيوت المختلفة المحالة الفظيعة التي تدهورت فيها الأشياء في مقاطعتنا ! . . . (١)

ومضت مدة منعوا في إنكلترا استخدام النساء التزوجات كي يتفرعن للأعمال البيتية التي لا بد أن يزاولها فرد من أفراد المجتمع ، ويتكفلن حضانة اطفالهن ، ويدتهعن عن مساقط الأعراض . . وقد أعلن استبيانه بهذه الظاهرة المفترض « بيكر » في تقرير رسمي : « انه سيكون من حسن حظ المناطق الصناعية في إنكلترا حرمان كل امرأة

(١) رأس المال ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٢

متزوجة ، وربة عائلة ، من الاشتغال في أي معمل كان (١)» .
 غير أن ضئولة اجور العمال والغلاء ، لم يسمح للزوجات أن
 يستقررن في بيتهن ، فعدن الى مراكزهن ، وأخذت تنزى على مسرح
 العالم البوادر السيدة ، والعواقب الطبيعية المترقبة ، التي أثارت حفيظة
 الآباء ، وثأرة المصلحين ، غير انهم لم يجدوا الى مكافحتها سبيلاً !
 وحاولوا التغاضي عنها فلم يسعهم ذلك ، حيث بلغت من الصفافة
 والصرامة ما لم يخف على احد

أُخْرَى مَهْمَلَةٍ

فتوصلو الى تبريرها بوضع فلسفة جديدة للاخلاق ونسخ النظريات
 الفطرية والدينية ، زاعمين : أن الواقع الذي أمام اعينهم ليس
 فساداً خلقياً ، وهبوطاً وتردياً ، وإنما هو من مظاهر الحرية ، والانطلاق
 والنهضة والارتقاء ، والتطور يقضي : ان يكون المتعاج الجنسي — اليوم —
 عن طريق الزواج ، فانكان بالأمس يجمعها رباط الزواج ، فاليموم
 يجمعها رباط العمل المشترك ، أو الصداقة .. ثم اتسعت هذه السفسطة في
 الآونة الأخيرة ، فخلعوا يقولون : اذا كانت الصداقة مبررة لتعاطي اللذة

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٨

الجنسية ، فلماذا يكتب التباعد بين الأقارب ، إنهم لا يختلفون عن الأبعد في ذلك ! وما دامت تلك فلسفة الأخلاق - لدى الرأسماليين - فليس من الغريب ما شاع في بعض الأقاليم الفرنسية ، والمدن الصناعية الأخرى ، من وجود العلاقات الجنسية بين الأقارب في النسب ، كالاب والبنت ، والأخ والاخت ... (١)

إِسْتَهْدَامُ اسْمِ الْفَرْسِيَّةِ الْجَنْسِيَّةِ

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فالازمة الرأسمالية المعروفة بحرية التجارة المطلقة ، أبت إلا افتتاح نوافذ إلى آفاق جديدة للتجارة ، باستخدام الغريزة الجنسية ، لأنها مكاسب مشروعة في نظر الاقتصادي الرأسمالي ، وإذا كانت النفوس تتقدّز منها يوم كان لها دين ، فالليوم وقد انسلخت من دينها تهلهل إليها هلعا عميقاً ، لذلك أخذوا يتدرجون في هذه المزالق الرهيبة الدكناه :

إِسْتَهْدَامُ الصِّدَّافَةِ

فابتدرؤوا إلى الجرائد والمجلات ، وجعلوا يدربون فيها القصص

(١) المودودي . الحجاب ص ٩٨

والمقالات الفرامية ، واستشاروا في هذا السبيل أعلى ما جباهم الله من موهاب ، وفنون ، وعلوم . وشجعوا الأدب المكشوف ، وأفرغوا له قسماً من الجرائد والمجلات ، أما القسم الآخر فأن لم يكن مخصصاً بذلك ، إلا أنه لم يخل على اي حال من ركن ، او اركان ، موضوعة للفنون الجميلة ٠٠٠ وحيث لاقت الصحافة الماجنة من الاعجاب ، وتهافت القراء ما لم تشهد الصحف من قبل ٠٠٠

كتب فهارس عجمية

أخذ الكتاب يكرسون جهودهم ، لاخراج الكتب والرسائل ، في القضايا الجنسية ، وفنون الرقص ، والغناء ٠٠٠ واغراء العواطف ، واستجواب القلوب والـ ٠٠٠

ولم يفلت من كيدهم : أن يمدحوا مهنتهم الفاجرة ، بالوان من الأطراط الرفيع ، والكلمات الخلابة النذيرية ٠٠٠ حتى أصبحت الفنون الجميلة والأداب الجنسية ، من أرقى الفنون ، فلم يعد الآن تأليف كتاب مليء بأنواع الخلاعة المكشوفة البارزة ، مخزاة أو مغمزاً للمؤلف ! بل المؤلفون يتبارون بأنهم مرهفون ، ويتباهلون ببراعة كتبهم ، وان نالت لدى الناس حظوة وقبولا ، فسيجازون اما بعضوية المجتمع العلمية ، أو بشرف

« كروي دوئر (١) » أو بجوائز « نوبل » باعتبارها خدمة للأُنسانية وكم بلغ كتاب الجنس مصاف المُثرين الكبار ، من امتيازات كتبهم ٠٠ ولم يفتهنم بعد ذلك : أن للشعر فتنة سحرية ، تنقر على أرهف وتر ينبض في القلوب والمشاعر ، وينادي الموسيقى بمعين لا ينضب من الخواطر الحديثة !

صور المأهات

وان الصور الفوتوغرافية ، والمجسمات العارية ، تلهب الشهوات الدفينة ، والغرائز الهاجحة ، وتفعل بالعواطف مالا تفعله الحقائق الصارخة لذلك كلّه عمدو إلى استخدام الشعر والفوتواف . ومصانع المجسمات ، كي يصرفوها في مقاصد الأغراء والمجون ، حتى يسنح لهم استخراج أكبر قسط من أموال الناس من جيوبهم ، ولذلك لا تجد اليوم اعلاناً تجاريًّا في الصحف ، الا وسته البارزة : صورة امرأة مبتذلة ١ كأنه لم يعد من الممكن أن يكون اعلان ما وافقاً بالغرض ، بدون وجود الأغراء الجنسي . حتى أصبحت صور العاهرات والعواهر في حالات مرئية ، اقوى جهاز المداعية والمعايدة والألفاظ ٠٠

(١) نفس المصدر ص ١٠٣

وقد كان للطبع ، ودور النشر ، والاذاعة ، والتلفزيون ،
دور ناجح في تنشيط قفزة الميوعة والاستهثار ٠٠٠

أدوات المغارب

ولم يفلت من دهاء التجار استغلال غريزة التبرج التي خامت فطرة المرأة ، فتفننوا في ابتكار ادوات الزينة والترف ، واساعوها في المجتمع ، كي تصبح من الحاجات الأساسية للمرأة ايربحوا منها فيضار فيها وابتدعوا الأزياء الكاشفة المغرية واكثروا الغواني الفانات ليرتدنها ويعشين بها النوادي والحدائق حتى يفتن بهن الشباب النزق وتغنم الفتيات بذلك الأزياء الجديدة والألوان الزاهية من الثياب الفضفاضة الرفاق ٠٠٠ وتذرعوا بهذه الطريقة لاستدرار اموال الناس ٠

النهايات المفترضات

العملية : أن يعمدوها إلى الكواكب الحسان ، فيلتقنوا منها فتاة آسر الحال ، ليحلوها بأروع الأزياء والخل والماهيج ، ويستخدموها ، مكان اللافتة ، في الحوانين ، لعرض الامتناع على المستهلكين ، وتماكس على الشمن . . وفي الحقيقة لم يكن استخدامها لأداء هذه الوظائف وإنما جيء بها لتكون دمية ، تعمل فتنتها المعنطيسية الأخاذة في الرجال ، فترغبهم على شراء حوانجهم من عندها ، دون أن يعما كسوها طويلا . . حتى أذك اليوم لن تجد في المدن المزدحمة ، معرضا ، ولا فندقا ، ولا مقهى ، ولا سينما ، ولا حانوتا ، . . إلا وفي صالتها فتاة متحلية بأحدث المغريات ، تستقبل الوراد بفتحها ودلاتها . .

لقد سمت هذه العوامل الموبوءة أجواء العالم كله ، وسلخت من البشرية كل خاطرة من معاني الأخلاق والفضيلة ، ونازعت حتى الدرهم من يد البدوي التائه ، ولكنها لم تنجح في إشباع مطامع الرأساليين ، فأرادوا التوسيعة في الاستغلال ، وحاولوا لو يبتدعوا فتنته تقهير مختلف الطبقات والأصناف على التعرية من أمراهم ، لتنصرف إلى أيدي نفر من تجار البشرية وخزان الفضة والنضار . .

المسارح والـ . . .

فعملوا المسارح ، والملاهي ، والسينمات ، والمفاهي ، والحانات ،

فأبهاء الموسيقى ، والمسانع المختلطة ، ونوادي العرابة ، ثم دور الدعاية . . .
ما ينبو عنه القلم . . . واستخدموا الغيد والغلمان ، وصنعوا للمراهقين
والمراهقات ، وسائل الممثلين والنجموم ، جميع أدوات التبرج والأغراء
الصارخ ، وجعلوا يعرضون فيها على النصات الأجساد المثيرة العارية أو
شبه العارية ، وكل ما تحفل بها من فنون الدلال والغجر . . . وعمموها
ل مختلف الطبقات ، وفي كل مكان ، كي لا يشد عنها أحد ، حتى فلاح المزرعة
وإن أوى المعجزات ، من العصمة وقوة العقيدة والثبات والدين والأخلاق
حتى أهبووا الدنيا ضراما ، وحولوها إلى بؤرة فساد تضج بالآوباث العفالة
الموبقة . . . واتسع الفجور حتى أصبح ميدان الشارع ، والنادي ، ووسائل
المواصلات . . . (١)

(١) - للمصلحين الراحلين في القطر الأميركي مجلس يعرف
بـ « اللجنة الأربع عشرية » يعني بالفحص عن مكامن الفجور ، والتحقيق
عن حالة البلاد الخلقية . وأنخذ التدابير العلمية لاصلاح الأخلاق ، على
نطاق واسع ! وقد جاء في تقريرها : إن كل ما يوجد في البلاد الأمريكية
من المرافق ، والنوادي الليلية ، ومحالى الزينة ، وأماكن التدريم ، ومرآكز
توبیخ الشعر ، قد أصبح جلها مواطن للفجور ، ودوراً للبغاء ، بل هي أقبح
منها وأشنع ، لما يرتكب فيها من الرذائل التي لانصلح المذكر (نفس =

وحتى أصبحت النساء في البلاد المزدحمة - إلا النادرات - مشاهدة رسمية قانونية ، دون أيها تأثير أو استثنكار . . . وحيث سيطرت الشراهام البهيمية الدنائية ، على الركائز الإنسانية النزيهة . فألمست المرأة متعدة قبل كل شيء ، وان غروها ب Alf شـي و شـي . . . وحتى امـست . . . وسألـنى هذه المأساة الطويلة ، بتسجيل هذه الحقائق التالية ، كـشـواهد على مدى سقوط لـاـنسـانـيـة في ظـلـ النـظـامـ الرـأـسـالـيـ الخـلـيعـ :

ـبـاـذـلـ :

قد يقيم العشيق مع عشيقته وزوجها في منزل واحد ، وبعيش الثلاثة في هذا الوضع ، على أيام وفـاق ! وهذا الوضع منتشر انتشاراً كبيراً في فرنسا على الأخص ، ويـسـمـونـهـ هـنـاكـ «ـ التـعـاـيشـ الثـلـاثـيـ » . وفي السويد ، تعـطـيـ الزـوـجـةـ حقـ اـخـتـيـارـ صـدـيقـ ، يـكـونـ لهـ مـاـلـ زـوـجـهاـ

المصدر ص ١٣٣) .

وقد روت الصحف : إن الممثل المهرلي « بوب هوـب » زـارـ بـارـيسـ فـكـتـبـ منـ هـنـاكـ إـلـىـ أحـدـيـ صـدـيقـاتهـ : «ـ أـوـهـ يـاعـزـيزـيـ . . .ـ الفتـيـاتـ هـنـاـ سـمـاـويـاتـ . . .ـ وـأـيـنـاـ اـذـهـبـ أـجـدـ القـبـلـاتـ فـيـ «ـ الـأـتـوـيـسـ »ـ وـعـلـىـ سـلـمـ «ـ الـأـتـوـيـسـ »ـ .

من حقوق ٠ ٠

وفي أمريكا ، لا تكاد الفتاة تبلغ سن الرابعة عشرة ، حتى يكون لها خدن يظل يعاشرها معاشرة الزوج لزوجه ، حتى تتزوجه أو تتزوج غيره ٠ (١)

وحتى مطلع القرن العشرين لم يبلغ التفسخ الخالق إلى هذه الدرجة من الصراحة ، بل كان زنى الرجال أمرًا هيناً طبيعياً يغضي عنه الآباء بشرط ألا تصاب أبنائهم بالأمراض السرية ٠ ٠ وربما كانوا يتباشرون أو يلحوذون على أبنائهم أن يخادنوا امرأة لها مكانة مالية أو اجتماعية ، وذاك فيماً المستقبليهم ٠ ٠ ولكن نظريتهم بشأن المرأة كانت مختلفة عن ذلك جداً ، إلى تلك الآونة ، فكان عفاف المرأة شيئاً له قدره وقيمةه ٠ ٠ وأولئك الآباء الذين كانوا لا يرون بأسباب بخلاعة أبنائهم ، معتبرين عنها بصورة الشباب ، كانوا يغارون على أعراض بناتهم ، ويحرصون على برائتها من كل وصمة سوء ٠ ٠ ٠

غير أن هذه الظاهرة الحسنة ، تقلصت بعد صراع طويل مع المتباكيين على حقوق المرأة ، والمطالبين بمساواتها مع الرجل ٠ ٠ ٠ حتى لم يعد تعلق المرأة بالرجل شيئاً يذكر عفتها وكرامتها كما ان الشذوذ الجنسي

(١) محمد الغزالي . الإسلام والطاقات المعللة ص ١٥٢ - ١٥٣

أصبح أمراً مشاعاً في الأوساط ، وبصورة في المزايدة في المدارس والكليات و . . . كما يتحدث عن ذلك الدكتور « هوكر » : « إنه لا تزال في مثل هذه المدارس ، والكليات ، دور التربية للممرضات ، حوادث من ت Safح الوالدين من الجنس الواحد فيما بينها ، وقد تلاشت - أو كاد - ميلهم الطبيعي إلى الجنس المخالف (١) ٠ ٠ ٠ »

وقد كتب القاضي « لندسي » الامريكي : « أن خمساً واربعين في المائة من فتيات المدارس ، يلدن سن أعراضهن قبل خروجهن منها . وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم التالية ٠ ٠ ٠ إن طالبًا في مدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهابا ، فالصبية هي التي تقدم أبداً وتأمر ، وما يفعل الصبي إلا ان يتبع ويأنما (٢) ٠ ٠ ٠ »

وقد كثرت الفواحش - على الاخص في الامم الراقية (١) في بادي الامر بصورة غير منتظمة ١١ فثلا إن النساء اللواتي اخذن من الفحشاء حرفة برأسها في امريكا ، كان يقدر مجموعهن - على اقل التقدير - بين أربعين وخمسين ألف (٣) وفي فرنسا كان عدد البغایا المحترفات -

(١) نفس المصدر ص ١٢٦

(٢) نفس المصدر ص ١٢٨

(٣) نفس المصدر ص ١٣٠

قبل الحرب العالمية الاولى : نصف مليون (١) فكان عليهم ان يستخدمون هذه الحرفة الجرائد ، والبطاقات المchorة ، والتلفون ، ورقم الدعوة الشخصية حتى جاء قوم فهداوا الاسباب لا كراء النساء ، وتقديموا بحرفة البغاء الى ان اصبحت تجارة دولية منظمة (٢) ، كما صرخ موسیو « فردینان دريفوس » احد اعضاء المجلس الفرنسي قائلا : « ان حرفة البغاء لم تعد الآن عملا شخصياً ، بل قد اصبحت تجارة برأسها ، وحرفة منظمة ، بفضل ما تجلب و كالاتها من الارباح الغزيرة ، فلها في هذه الايام وكلاء ، يهبون (المواد الخام) ، وآخرون يتجلبون في البلاد ، ولها الان اسواق منظمة ، تستورد فيها ، وتتصدر منها الفتيات والصبايا كلاما ومال التجارية . واكثر ما يطلب في هذه الاسواق من الاموال ، هو بنات دون العاشرة (٣) . ويكتب « بول بیورو » : « ان هذا العمل : (احتراف البغاء) قد اصبح في زماننا نظاما محكم التركيب ؛ يجري بما شئت من التنظيم ، على أيدي الموظفين ، والعاملين المأجورين ، والخطباء ، والمحاضرون ، والاطباء ، والقابلات ، والسياح التجار ، ويستعمل له كل جديد من فنون النشر ،

(١) نفس المصدر ص ٩٩

(٢) نفس المصدر ص ٨٥

(٣) نفس المصدر ص ١٠٠

والعرض ، والاعلان (١) .

ومن اكبر اسواق البناء في امريكا عاصم «نيويورك» و «ريودي جنiero» و «بونس آيرس» ، ولكل من المراكز الاربعة من مراكز التجارية ، في مدينة «نيويورك» مجلس تنفيذي ينتخب رئيسه وأمينه ، بطريقة الانتخاب المألفة ، ولكل من تلك المراكز مسئشaron من رجال القانون ، يراقبها مصالحها إذا هي وقعت في قضية قانونية ، ثم تستخدم تلك المراكز نخاسين ، لراودة الفتيات عن انفسهن يتجلون في البلاد بمحنة عن الصيد .

ومن امتداد نفوذهم في المجتمع ، أنه عن رئيس رابطة الجالية بـ «شيكاغو» ذات مرة ، باحصاء عدد الفتيات المغويات ، في مدة خمسة عشر شهراً ، فعلم : أنه وردت على مكتب الرابطة ، رسائل (٢٠٧ ٠٠) مائتين وسبعين ألف) فتاة ، أخبرن فيها المكتب بكونهن في الطريق إلى شيكاغو (٢)

(١) نفس المصدر ص ١٠٠

(٢) نفس المصدر ص ١٣١ - ١٣٢

الرأسمالية الجديدة

رد الفعل

كان النظام الرأسمالي الديموقراطي ، يحافظ بالقسوة والعنف ، على حرية التجارة المطلقة ، التي تميخت عن تلك المظالم والآسي النابية . ا ولم يكن للسلطات الحاكمة : أن يضع حدأً لهذه الجرائم الاجتماعية الشاملة ، بتحديد حرية الاقتصاد . ! ! لأن الرجال الماليين كانوا يكمن الأفواه بالرشى والرصاص ، . . ويتباكون على الديموقراطية التي تنص على حرية الاقتصاد المطلقة ، وتجعلها فوق القانون ومنال الحكومات . . .

وحيث كان النظام الديموقراطي يوفر - أيضاً - حرية الصحافة والخطابة والمظاهرات والتصويت ، أخذت تضج الصحف ، وتعج الشوارع والبرلمانات والمعامل ، . . بالمقالات الشائكة ، والخطب النارية الحامية ، والمظاهرات الصاخبة ، والاضرابات الطويلة . . المطالبة بالضرب على أيدي التجار المستأثرین ، و توفير حقوق العمال والمستخدمين . .

وكانت الانتفاضات التلاحدة تضطرب بالأمن والتجار ، فكانت تتلقى المقاومة من السلطات والتجار معاً ، وحيث لم يكن يقودها غير الشعور بالحقوق السليمة ، كانت تقدم الضحايا ، وتحفق في المطاف الأخير . .

غير أن هذا الشعور الذي اختمر الاذهان ، ونضج وتجسم ، حتى

حفر بالجاهير التي تتفجر حماساً ونشاطاً، الى الشوارع والمجتمعات ، جمل يكسب التجارب الثمينة ، من المذاق التي مر بها عبر نضاله الطويل . . . كما تطور الى صورة مغربية كسبت السلطات الى جانبها ، وتطور منطقها أيضا ، فأخذت الجاهير تنادي : إن الدولة الجمهورية لا تكون إلا مظهرها لمصالح الجمهور ، الذين ينظمون قوتهم السياسية في صورة هذه الدولة . فاي شيء إذن يدعو إلى الأحرار على ان تكون الحكومة الجمهورية محدودة العمل ضيقـة النفوذ ، كما كانت الحكومات الملكية من قبل . ! إن الواجب على الحكومة الجمهورية : أن تعامل للمصلحة الجماعية على الوجه الايجابي ، و اذا وجدت المظالم في المجتمع فعليها : أن تعامل على تداركه . بوضع القوانين ، و بتدخلها الاداري المسلح . . .

كادت التجار أن تخسر المعركة . تجاه هذا المنطق ، كما خسرت
البرلماناليومأناصبححقالتصويتمشاعاللجميع !!

کان امیر پ

لولا ان انفجر بر كان الحرب ، التي هزت العالم هزاً ، ونمازعت الارواح وأطاحت الأفكار . ! وانهزمت الفرصة التجارية ، فرفعوا اجر العمال قليلاً ، ورفعوا الاسعار أضعاف ذلك ، وتناسي العمال مطالبيهم ،

واستسلما لللاقدار التي تخلق على دؤوبهم ، والبلاء الذي يحيق بهم ،
وانصرفت الحكومات عن الشعوب وطلباتها ، واخذت تختمس أنفاسها
الأخيرة ، وهي تطفوا وترسب في غمرات الحرب . ١١٠

انفجارات

فاهدرت حقوق العمال ، وتضاعفت قسوة الرأسمالية ، وكلن لابد
من ذلك . . . غير ان الارض أخذت ترتجف : وتلاحت على الرأسماليين
ضربات قاسية من مطائق حديدية ايقظتهم في مخادعهم . . . فقد قامت
الشيو عليه في روسيا ، حتى استحصلت دابر البورجوازية بالحديد والنار !!
وانفجرت « الفاشية » و « النازية » في « إيطاليا » و « المانيا » فحصرتا
البورجوازيين والعمال - جمِيعاً - في نطاق جبري ، ونظام حديدي . . .

هذه الانفجارات الرهيبة حاسبت الرأسمالية ، والقت بصيصاً من
الضوء على جرامها الوحشية ، وهددتها بالمصير الاسود القريب . . . فما
افكت تقبل في نظامها الاقتصادى الحر القديم ، بما كانت تلقاه من ضعف
العمال وقوة الجم، والمزيدة تارة ، ومن تلقاء نفسها أخرى ، التعدّلات
التالية :

نعم يا حرث

١ - رفع اجور العمال والمستخدمين ، والتقليل في ساعات العمل ، والرفق في احوال الاشتغال ، وإعفاء النساء والاطفال من العمل والخدمة في بعض الاحوال - والاحتفال بنفس العامل ، وصحته ، والعمل على تحسين بيته وببيته بالنسبة لها من قبل ، والتدارك - ولو بشيء يسير - عند مصابه بضرر في المدف : والترويج لبعض مشروعات التأمين الاجتماعي . . .

٢ - قد سلموا بصفة رسمية : في كل شعبة من شعب الاقتصاد النقابات العمال والاجراء ، ومنظماتهم : من حيث هي ممثلة لهم ، ومجازاة بالكافضة عنهم ، كما اعترفوا بمشروعية بعض التدابير العملية ، التي تساعده العمال والاجراء تحمل المستأجرين (١) وأصحاب المعامل ، على إجابة مطالبهم ١١٠

(١) المستأجون رجال متزون ، وفي أكثر الأحيان لهم علاقة بالسلطات ، يستأجرون الأرض أو القرية أو المقاطعة ، من ملوكها ، آونة جبرا وطوراً إختياراً ، ثم يعاملون العمال وال فلاحين معاملة الأقطاعي نفسه بل أقسى وأمر . .

٣ - فوضوا المحكمة صلاحية التحكيم بين رأس المال والعمال ، وكذلك عينت الصور القانونية والبنود القضائية ، والجناحية المختلفة ، لفصل الصراع القائم بينها .

٤ - اعترفوا بالمبادأ القائل : « ينبعى ان يفرض على الأستئثار الفردي من القيود والحدود ، مالا يعود معه مضرًا بالمصلحة الاجتماعية ، ولا يقوم بفرض مثل هذه القيود والحدود إلا الحكومة » المحايدة نسبياً ..

٥ - نهضت الحكومة ببعض الخدمات الاقتصادية العامة ، كابلريد والتلغراف ، والتلفون ، والقطار ، وإنشاء الطرق والشوارع ، وتعهد بها ، وإنبات الغابات ، وتوزيع المياه في المدن والبساطين والأراضي الزراعية ، وتألييد الكهرباء وتوزيعها ، وتحديد العمالة ورقابتها ..

٦ - وفر للعمال والأجراء الحق في الاشتراك مع أصحاب الشركة وذلك بتقسيم الشركة إلى سهام رخيصة ، يستطيع العامل الوضيع : أن يدخل من أجره كل يوم شيئاً ، حتى يشتري به بعض السهام ، وقد اختيرت في بعض البلاد صور ينقد العمال والأجراء فيها - وفقاً لقواعد معينة - قسماً من أجورهم ومشاهراتهم ويضم الجانب الآخر منها إلى رأس مال الشركة من قبلهم .. وهكذا أصبح كثير من العمال والأجراء شركاء في ملكية شركتهم ، أو مجموعة شركاتهم الأنجلافية .. حتى ان في بعض المعامل

الثقيلة نحو ٨٠٪ او ٩٠٪ من عمــالها شركــاء في ملــكيتها ، ولا تزال نسبة شركــتهم في نمو مطرــد ، بما لهم من السهــولة في اشتراك الأــسهم بالتقسيــط من الأــموال ما يؤمن حاجــاتهم ، لأنــهم يعــملون بأــجور ضــئيلة ، أو لا يــجدون العمل .

فــلنأخذ قضــيتها من القضايا الحــياتية ، كــقضــية تــأمين المــساكن ، وــنذكر على ســبيل المــثل ما جاء في « ســجل الواقع » المــوضــوع من قبل الــاجنة الوطنية للــحزب الــديمقــراطي ، في الولايات المتحدة ، من أنــ ١٥ مليون شخصاً يــعيشــون في الأــحياء الرــثة الفــدرــة ، وأنــ شروــط الســكــن غير مــتوفــرة في ١٣ مــليــون بنــاء (أيــ رــبع مــجموع الــبنــاءات) وأنــ ٧ مــلاــيين بنــاءــة في المــدن غير صــالحة لــالسكن من جــراء تــداعــيها بصورة رــهيبة (١)

افتــاد البــضــائع

الــكــثير من الغــلة ، والــفواــكه . والــمــعــلات ، والــبــضــائع الــآخر تــفســد أو تــبور على أــثر الــاحتــكار . . . فيحرــقونــها ، أو يــقــذــفونــها في الــبحر كل عام ! وربــما تصــاب الأســواق بالــتخــمة نــتيــجة لــتدفــق الــانتاج ، فيهدــد الرــأســمالــيين بــتــخــفيــض الأســعار ، فيعــمدــون إلى استــعــمار الشــعــوب الضــعــيفة ،

(١) خــروــشــوف . الــارــقام التــوجــيهــية طــ مــوســكو صــ ٦٩

لصرفها فيهم ، أو يحرقونها قبل أن يأتوا بها إلى السوق ، خشية الرخص والرخاء ، كي تبقى الشعوب جائعة ، حتى لا يعز عليها دفع الأثمان الفادحة بازائها !!

إهمال المحبة

في المجتمع الرأسمالي ، لا تعتبر الدولة ، ولا المجتمع ، ولا الطبقة المالكة ، نفسها مسؤولة عن كفالة أولئك الملايين الذين يتغطّلون عن العمل رغم قدرتهم عليه ، أولاً يقدرون على العمل لكبر سنهم أو صغرها ، أو يعجزون عنه موقتاً أو دائماً . أما التأمينات الاجتماعية ، فانها أسماء أكثر مما هي حقائق !! وإن وجد بعض هؤلاء معاونة - على سبيل المصادفة - فهو حظ ، لا تأمين ونظام ..

تجنّج الافتراض

فالرأسماليون يرفعون الأسعار - حينما يشاؤن - إلى أرقام خيالية ، ويحدّثون القمح المصطنع ، بخطط مرسومة ومؤامرات يحكّونه - ما بطرق المسامات السرية ، والمقامرات التجارية ، التي تلعب بالتجارة لعب الامراء بالشعوب !! ..

دوران التجارة

وهذه الألاعيب الصبيانية ، التي يزاولها التجار، تضخم ، فتسايب الشعوب بخدمات إقتصاديه منهكة . فيكون رد فعلها نوبات الكساد والبوار ، التي تنتاب الاقتصاد العالمي ، غب كل فترة مسحورة ، ونشاط محوم ينبعجس في صميم التجارة العالمية .

ذلك أن جشع التجار يحفزهم إلى الاكتثار من التطورات التجارية والتلوّنات في استنزاف ثروات الشعوب ، باختلاف الاساليب الفنية ، في ابتداع المفانين الكمالية ، وأدوات انتسليمة والترف والاغراء ، فيلهون بذلك عن إنتاج البضائع الأساسية ١٠٠ غير أن الناس لا يشعرون بشيء في باكرة الأمر ، وإنما يقبلون على اقتناه هذه البدائع الخالبة ، فيهكم التجار في الاستزادة منها ، وتطويرها ، وإطلاعها بشتى المغريات ٠٠٠ هكذا ينضي دور متჩفز نشيط في تاريخ التجارة ! وبخاصة يشعر الناس بأن جيوبهم قد فرعت أو تكاد ، فيتراجعون عن شراء الكماليات ! وبخاصة يحس التجار أن الخازن والأسوق قد نفضت آخر « لتر » من البضائع الأساسية ٠٠ عندما يرون : أن البضائع الكمالية الواردة إلى مخازنهم لا تستهلك بسرعة مناسبة ، فيتوقفون عن الطلب ، والصناعة عندما يرون هذا الوضع

يُمْسِكُونَ عَنِ الانتاج ، وَالرأسمالي حِينَما يَتَفَرَّسُ التوقُّرُ وَعَلَامُ الخطر يَمْتَشِعُ
عَنِ الاقراض ، وَيَسْتَعْجِلُ فِي اسْتِرْدَادِ مَا أَفْرَضَهُ مِنْ قَبْلٍ . . . وَعِنْدَمَا
تَلْحُجُ الْحُكُومَةُ ضَعْفٌ مِيزانِيهَا تَمْحُدُ نَفَقَاتِهَا ، وَهَكُذَا تَخْفَى الْمَعَالِمُ وَالْمَصَانِعُ
إِنْتَاجَهَا ، وَتَخْفَضُ الْاسْمَارُ إِلَى ارْقَامِ اسْمَاءِ ، وَيَقْلُلُ الْعَمَلُ ، وَتَسْفَلُ الْأَجُورُ
فَتَقْعُمُ الْبَطَالَةُ ، وَيَكْسِرُ الْكَسَادُ عَنْ أَنْيابِهِ ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَقْهَرُ هَكُذَا تَفَهَّرُ
خَطْوَاتٍ عَدِيدَةٍ أُخْرَى مَعَهَا . . .

حَتَّى إِذَا وَفَفَ النَّجَارُ عَلَى نَقْطَةِ التَّحْوِلِ ، وَعَرَفُوا أَنَّ النَّاسَ مَقْبَلُونَ
عَلَى الْبَضَائِعِ الْاَسَاسِيَّةِ - عَلَى حِينِ نَدْرَتِهَا - تَحْوِلُوا عَنْ مَوْقِفِهِمُ السُّلْبِيِّ ، إِلَى
إِنْتَاجٍ وَاسْتِيرادِ الْبَضَائِعِ الْاَسَاسِيَّةِ ، فَتَدْبِي الْحَرْكَةُ فِي اسْتِوَاقِ الْبَضَائِعِ
الْاَسَاسِيَّةِ ، وَيَخْيِمُ الْكَسَادُ عَلَى أَسْوَاقِ الْكَمَالِيَّاتِ . . .

عِنْدَ ذَلِكَ يَقْرِرُ الْمَصِيرُ لِطَافَتِينَ ، فَتَحْمِمُ الْخَسَارَةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَعَالِمِ
الَّتِي تَنْتَجُ أَدْوَاتَ الْبَذْخِ وَالْزَّرْفِ ، وَأَرْبَابَ الْخَازِنِ الْمَتَخَوِّمَةِ بِالْكَمَالِيَّاتِ !
يَبْنِيَا يَكْتُبُ الدُّوزَ لِتَجَارِ الْمَوَادِ الْأَعْدَائِيَّةِ وَالْاَنْشَائِيَّةِ ، وَمَالِكِيِّ مَعَالِمِ النَّسِيجِ
وَسَائِرِ الْبَضَائِعِ الْاَسَاسِيَّةِ .

هَكُذَا تَهْرُطُ تَجَارُ مِنْ حَلْبَةِ التَّجَارَةِ ، وَيَنْظَمُ آخَرُونَ مِنْ الطَّبَقَةِ
الْوَاطِئَةِ إِلَى الْمَبَارَةِ . . .

وَهَذَا الدَّاهِيُّ الْعُرُوفُ بِـ « دُورَانَ التَّجَارَةِ » يَلْاحِقُ الرَّأْسَمَالِيَّةَ ،
مَلاَحِقَةَ الْفَطْلِ لِلْاَنْسَانِ . . .

نفس المجتمع

وهذا النظام لا يحترم حاجات الأفراد ، ولا يدع المجتمع على ما يجب أن يكون عليه ، وإنما يقدس ما يجلب الأموال بسرعة وسهولة ، ولি�ت hemat المجتمع كله على أكواخ النصار ١١ حتى الآن تعتبر المنافع الشخصية مقياساً وهدفاً للحياة ، ولا يزال الاقتصاد العالمي يتركز على الربا ، والاحتكار ، والخمر ، والقمار ٠٠٠

أحمد المؤرخ

هذه النقائض والنقائص ، والكثيرة من أمثلها لا تزال موجودة في الرأسمالية الجديدة المقيدة ، كما كانت في الرأسمالية الحرة ، في القرن التاسع عشر ٠٠

وذلك ما يدل على أن الرأسماليين لم يفكروا وارن يفكروا في اتخاذ التدابير الجذرية ، لمعالجة هذا النظام ، وفق المبادئ الإنسانية النبيلة ، والذي حصل حتى الآن ان الطبقات البرجوازية ظلت تعامل مناهجها على قدر ما لقيت من ضغط العمال ، واحسنت بخطر الشيوعية ، بين آن وآخر ، وبقدر ما يخفف سورة العامة ، وغضباتها النكراء ، ويسلد الطريق على الشيوعيين في استغلال رؤاسة العمال ، ويخدر الاعصاب الشائرة على الرأسمالية والرأسماليين

دون أن تكون هناك أية رأفة بالعمال ، او اي تقدير لحقوقهم
ومشاorum !!!

تقدير

فالنتيجة المخيبة : ظهر ان هذا النظام فاشل ، لا يستطيع حل المشكلة الاقتصادية ، وهي توزيع السلع والخدمات على الافراد وتشجيع الطبقات وغذيها بالحقوق القانونية المسلحة . . . ولم يستطع : ان ينظم الاقتصاد في نطاق الاديان والاخلاق ، فاضطر الى تحطيم الاديان والاخلاق ، وجماع القيم والفضائل . . وهكذا جرد المجتمع من الايثار ، والتراحم والتعاطف والثقة المتبادلة ، وكل ما يرفعه عن الانسان في الحياة ، وابدأها بعرافيل وقيود مرضية ، وصراع عسكري مسلح . .

وهاته الفكرة المادية الموجاه ، عصفت بالمجتمعات الرأسمالية . .
حتى جعلتها على جرف هار يتارجح للسقوط . . ثم انطلقت تصب على العالم ، الاستعمار والمحروب ١١٠

كما أن كل بند من بنود هذه الفلسفة ، وكل ما جاء فيها من تفاصيل واحكام ، مغلوطة متفاقمة التناقض ، تعرقل سير الاقتصاد ، وتحرفه عن منهاجه الكامل الصحيح ١١١

لهمه هى الرأسمالية

و تلك بعض سيئاتها و مفاسدها ، التي اباحتها بكل صفاقة و جرأة
تبعاً لحرية التجارة والاقتصاد ، التي أعملتها باديء ذي بدء ، فصبت
العذاب الاليم على رأس الانسان وهي الان ، وبعد ما وقفت على
أخطائها و جرائمها لا ترضى أن تعلن انهزاماًها من الميدان ، عناداً لللاشي .
ولقد آن للناس ان يعرفوا ان الفكرة الرأسمالية لا تصلح شيئاً من حياتهم
الاقتصادية ، فلا بد ان يندوها ، لا الى الاشتراكية او لا الى الشيوعية
فهما أسوأ من الرأسمالية ! - هل الى الاسلام !!!



الافتتاحية

فكرة الشيوعية

يُزعم قادة الشيوعية : أن الإنسان بعطرته الأصلية ، ليس محولاً على الاستئثار والاستغلال ، . . وإنما البيئة هي التي تطبعه بطوابعها ، وتحوي إليه بكل ذلك !! ومن الممكن تحريره من الميل الشريرة والعقلية الفردية ، حتى يلبي نداء العقلية الجماعية ، والمدنية المركزة في الإنسان وعند ما يتحقق ذلك ، يقضى بصورة تلقائية ، على الصراع القائم بين إنسان وإنسان كنتيجة طبيعية ، لتسابقهما على المنافع الشخصية المعينة . . . ويعود الإنسان ملاكاً مظوراً ، مجرداً عن حب الذات ، والظهور ، والاستغلال ، والاستئثار ، والاستعلاء . . . ويصبح فوق منال النوازع والجواذب الداخلية والخارجية ، وينصر في بوتقة المجتمع ، حتى يتسم بنكران الذات ، نكراناً تاماً ، فلا يكاد يشعر بكيانه ومصالحه الفردية ، وإنما ينتصب تجاهه الاجتماع ومصالحه ، فهو أبداً يعمل ويعمل للجماعة ، ولا يتذكر نفسه ، إلا عند ما تلح عليه الحاجة ، فيتناول من البضائع ، ما يشبعها ، دون أي ترف ، ثم يستمر في الجهد والتضحية بنفسه ومواهبه في سهل الاجتماع . . .

هذا الذي يخرج الإنسان من مملكة الحيوان إلى دولة الإنسان ، وتنطبق

عليه الصيغة الشيوعية : « من كل حسب مقدراته ، ولكل حسب حاجاته » .

ولا تقع هناك معارك تحتاج الى تدخل المحاكم في فصلها ، فالصراع أبدا يكون على المصالح الفردية المترادفة ، ولا تبقى في المجتمع الشيوعي مصالح فردية . . . كما لا توجد هناك مبارأة في ميدان ، حتى ينشب الصدام على النتيجة .

وبعد ذلك لا تبقى حاجة او فائدة الدولة . . هناك يعود الانسان الى حالته الطبيعية ، ويلغى القيود والحدود المفتعلة ، كما كان أول يوم وضع قدميه على الارض ، فقد كان يعيش في مجتمع شيوعي تسوده الفطرة البشرية الطاهرة ، غير الملطخة بالحضارة والمدنية . .

ذلك هي فلسفة الشيوعية الاساسية ، التي انفصلت منها القواين والبرامج . وتتلخص هذه الفلسفة في الصيغتين التاليتين :

١ -- فطرة الانسان ليست مختمرة بحب الذات ، أو الاستغلال والاستعباد . وإنما هي فطرة جماعية لا فردية ، وإنما طبعتها البيئة بطبعها بطيئا يمكن تجربته منها ، واعادته الى ما كانت عليه اول يوم .

٢ إن المراحل التي مررت بها البشرية عبر التاريخ والقرون هي :
١ - الشيوعية الاولى .

ب - أرق .

ج - الأقطاع .

د - الرأسمالية .

ه - الشيوعية الثانية .

صلمة التطبيق

فيستتجون من ذلك كله : انه لا بد من اعادة الفترة الشيوعية

الاولى ، لاسعاد البشرية وازدهارها .. ولا بد بذلك من :

١ - استيلاء « البروليتاريا (١) » المتمثلة في الحزب الشيوعي

على الحكم ، بالقوة والعنف ١ .

٢ - القضاء على رأس المال ، والربع الناتج منه ١

٣ - القضاء على كل ما يعزز كيان الفرد ، ويوقف فيه التزعنة

الفردية .. وذلك بانزعاج الملكية الفردية ، وبعثرة العائلة ١١ .

٤ - تأميم وسائل الانتاج (٢) بمصادرة الثروات وجملها

(١) - كلمة روسية معناها : طبقة العمال .

(٢) - التأميم هو سيطرة الدولة على الممتلكات ونصر يهاف

صالح الشعب بصفتها ممثلة لمجموع الأفراد .

ملكاً للمجموع !

٥ - القضاء على الطبقات ، وعلى البروليتاريا ذاتها بصفتها طبقة !

٦ - تجريد المجتمع من الدين والأخلاق : وكل ما يعرقل سير الشيوعية من الفوائين السائدة في البلاد !

٧ - إجبار الأفراد على العمل حسب طاقاتهم !

٨ - توزيع البضائع حسب حاجات الأفراد !

٩ - القضاء على الدولة .

وللتدعيم على صدق هذه النقطات نسجل تصريحات زعماء

الشيوعيين :

دِيْكَسُوتُورِيَّةِ الْبَرُولِيْتَارِيَا

أول ضرورة من ضرورات قيام العهد الشيوعي ، هو استيلاء طبقة البروليتاريا على الحكم ، بالفوة والعنف ، كما يصرح بذلك كارل ماركس وفرديريك أنجلز : « حتى الساعة التي تتفجر فيها هذه الحرب بشكل ثورات علنية ، وتوسس البروليتاريا سلطتها — بعد القضاء على

البرجوازية (١) - بالشدة والعنف (٢) ٠٠

ويسترسلان الى حيث يقولان : « اما هدف الشيوعيين المباشر فهو المهدى نفسه ، الذي ترمى اليه جميع احزاب العمال ، اي تنظيم البروليتاريا في طبقة ، ونهر سلطة البرجوازية ، واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية (٣) ٠ »

نعم يؤكدان ذلك - أيضاً - : « إن المرحلة الاولى في ثورة العمال هي كمارأينا تشييد البروليتاريا في طبقة سائدة ، والاستيلاء على الديمقراطية ، وتنمية البروليتاريا سيادتها السياسية ، لاجل انتزاع رأس المال من البرجوازية ... ولا يتم ذلك إلا بخنق حق التملك ، ونظام الانتاج البرجوازي بالشدة والعنف (٤) . »

فالخطوة الاولى من خطوات الشيوعية ، هي ان تنسنم البروليتاريا السلطة السياسية بالشدة والعنف ، وهدفها الاخير حذف الديمقراطية ،

(١) - كلمة افرنسية معناها : الطبقة الوسطى من مالكي وسائل

الانتاج .

(٢) - (اليان الشيوعي) ص ٤٠

(٣) - نفس المصدر ص ٤٣

(٤) - نفس المصدر ص ٥٢ - ٥٣

لتبيّن الدكتاتورية والارهاب المتسلّب الى جمّيع جوانب الحياة . . . وكانت وصيّة كارل ماركس بذلك تستند الى حجج هي : « ان مجرد قيام انقلاب شيوعي لا يكفي لتحقيق مبادىء الشيوعية ، لأن المبررة بالتنفيذ . . . فالطبقة الرأسمالية التي تسحقها طبقة العمال ستحاول داماً التأمر ضد الثورة الشيوعية كما ان الطبقة العاملة ينقصها داماً العلم والتنظيم ، لأنها جاهلة ، وغير منظمة بحكم نشأتها ! ومن هنا سيصبح حماها على العمال ان يواجهوا مشكلتين خطرتين ، هما : أولاً : عدم قدرة الطبقة العاملة على حكم نفسها بنفسها عند ما تؤلّي بها السلطة ، وثانياً : خطر قيام الطبقة الرأسمالية بمحاولات ناجحة لاسترداد سلطتها المطلوبة . . . ولذلك ينبغي ان تقوم على أثر الانقلاب الشيوعي ، دكتاتورية عمالية ، عمادها هيئة مختارة من قادة العمال المثقفين ، تتولى الحكم ، وهي الشعب للنظام الشيوعي (١) . »

وبعد ما جاء «لينين» الى الحكم أخذ برد نفس النفرة ، معلناً أن حكومته لم تقم إلا بالقوة والديكتاتورية : « من المؤكد : أن جميع الناس يرون ان البلاشفة (٢) ، كانوا يستطيعون البقاء في الحكم . لا اقول

(١) - « النظام الشيوعي » ص ٦٧

(٢) - البلاشفيك معناتها الاقلية ، مقابل المنشفيك التي معناتها الاكثرية . والبلاشفيك هو حزب الشيوعيين سموا حزبهم بهذا الاسم حيث كانوا أقلية . . .

ستين ونصف سنة . بل حتى شهرين ونصف شهر ، لو لا نظام الطاعة الصارم ، لو لا نظام الطاعة الحديدي حقا في حزبنا (١) ٠٠٠

فولا الديكتاتورية العاشرة ، التي تذرع بها لينين ، واوصى بها كارل ماركس وأنجاز ، لما كتب البقاء للحكومة الشيوعية ، لستين ونصف سنة ، بل ولا شهرين ونصف شهر !

نم رأى لينين : ان الفوة التي تتسلح بها الحكومة السوفياتية ، والحزب الشيوعي ، لا تستقل بكمبـت الا صوات . لذلك ضم اليـها قـوة البروليتاريا : ففرض عليها الدفاع عن الحكومة الشيوعية : « ٠٠٠ ولكن في الدولة البروليتارية ، التي هي من النوع الانتقالي ، كـدوـلتـنا ، لا يمكن ان يكون الهدف النهائي لكل عمل تقوم به الطبقة العاملة ، سوى تقوية الدولة البروليتارية ، وتقوية سلطة الدولة ، التي تـارـسـها طبقة البروليتاريا وذلك بالـنـضـالـ ضدـ كلـ ماـ يـقعـ منـ تـشـويـهـاتـ بيـوـقـراـطـيةـ (٢)ـ هـذـهـ الدولة (٣) ٠٠٠ »

(١) — ستالين . « أسس الـيـنـيـنـيةـ » . ص ٩٧ - ٩٨

نقلـاـعنـ لـيـنـينـ ، منـ كـتـابـهـ : « مـرـضـ الطـفـولـةـ فـيـ الشـيـوـعـيـةـ » . ص ١٧٣

(٢) — « البيـوـقـراـطـيةـ - ضدـ الـدـيمـوـقـراـطـيةـ - معـناـهاـ الفـرـديـةـ ..

(٣) — لـيـنـينـ . « حـولـ دورـ النقـابـاتـ وـمـهـانـهاـ » طـدارـالـفـارـابـيـ ص ١١.

فَلِمَا كَانَ دُورُ سَتَائِينَ وَقَامَ بِالْأَعْمَالِ الْقَاسِيَّةِ ، الَّتِي تَفَزُّ مِنْهَا النُّفُوسُ وَتَقْشِرُ مِنْهَا الْأَبْدَانَ ، حَاوَلَ تَبَرِيرُ مَوْقِفِهِ فَقَالَ عَامُ ١٩٣٤ م : « لِمَاذَا نَتَفَاخِرُ بِسُلْطَنَتِنَا الطَّاغِيَّةِ ؟ وَلِمَاذَا نَتَفَاخِرُ بِأَجْرَاءَاتِ الْقَمَعِ الصَّارِمَةِ ، الَّتِي نَلْجَأُ إِلَيْهَا ؟ وَلِمَاذَا نَتَفَاخِرُ بِسُلْطَنَتِنَا الْمُطْلَقَةِ ؟ .. . الْجَوابُ هُوَ أَنَّا نَتَفَاخِرُ بِهَا لَا نَهَا سَيِّلَنَا إِلَى النَّصْرِ وَالنَّجَاحِ . وَلَنْ نَفْلُحَ فِي تَدْعِيمِ النَّظَامِ الشَّيْوِيِّ إِلَّا إِذَا اتَّصَفَنَا بِالصَّرَامَةِ وَالْقَسْوَةِ وَالْطَّغْيَانِ وَالْإِسْتِبْدَادِ ، .. . كُلُّ ذَلِكَ رِيْئَيْنَا تَحْقِيقُ الثُّورَةِ الشَّيْوِيِّيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ (١) »

وَصَرَحَ عَامُ ١٩٢٨ : « .. . أَوْصَانَا لِيَنِينَ بِنَكْوُنَ قَسَّاءَ عَنَّاهُ ، فِي مُعَامِلَتِنَا مَعَ أَعْدَائِنَا فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ . وَنَحْنُ لَا نَرِيدُ أَنْ نَدْعُ أَعْدَائِنَا فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ يَعْمَلُونَ ضَدَنَا .. . بَلْ إِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْنَا أَنْ نَمْنَعَهُمْ بِالْقُوَّةِ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَهُذَا نَعْتَبُ الْوَسَائِلَ الْعَنِيفَةِ الْقَاسِيَّةِ ، الَّتِي نَعْمَلُ بِهَا خَصْوَنَا ، عَمَلاً مَشْرُوعًا لِهِ مَا يَبْرُرُهُ ، مِهْمَا بَدَا هَذَا الْعَمَلُ اسْتِبْدَادِيًّا وَطَاغِيًّا (٢) »

وَلَقَدْ جَعَلَ مَارْكُسُ الْقُوَّةَ قَانُونَا وَحْقًا فَقَالَ سَنَةُ ١٨٦٠ م : « الْقُوَّةُ هِيَ الَّتِي تَحْدُدُ مَصِيرَ كُلِّ شَيْءٍ ! فَالْقُوَّةُ هِيَ الْفَانُونُ الطَّبِيعِيُّ ، الَّذِي

(١) - « النَّظَامُ الشَّيْوِيُّ » ص ٢٥

(٢) - (النَّظَامُ الشَّيْوِيُّ) ص ٢٤

يكشف عن نفسه في كل ميدان ، وهذا فاتنا نؤمن بأن الحق كامن في القوة
ونؤمن بأن القوة هي سبيلنا إلى النصر (١) .

وسار على خطته لينين حيث قال سنة ١٩٠٥ م : « فلتكن سياستنا
قائمة على أساس القوة ، وبالقوة نهرب خصومنا ! وبالقوة يحترمنا أنصارنا
وبالقوة نحطم النظام القديم ، وبالقوة نقيم نظاماً جديداً ! إن القوة هي
مفتاح النصر (٢) . »

ثم أضاف على ذلك قائلاً سنة ١٩٢٢ : « ليس الشيوعي الصادق
هو ذلك الشخص الذي يؤمن بتجريد خصميه من قوته فحسب بل الشيوعي
الصادق هو ذلك الشخص الذي يقتل خصميه ، بعد أن يجرده من قوته .
فالموت هو الشيء الوحيد الذي يريحنا من خصومنا (٣) . »

وقد أخذ ستالين يفسر دكتاتورية البروليتاريا سنة ١٩٣٠ م : «
أريد أن أوضح لكم : أن تعاليمنا تسمح لنا بالطغيان ! ... ألا نسمي
نظامنا دكتاتورية البروليتاريا ! إن هذه الدكتاتورية المستبدة هي سلاحنا

(١) - النظام الشيوعي ص ٢٢

(٢) - نفس المصدر ص ٢٢

(٣) - نفس المصدر ص ٢٣ - ٢٤ .

في المعركة (١) ٠

وقال ستلين عام ١٩٣٦ م . « يجب ان يكون مفهوماً أذنا نؤمن بالاستبداد ، ونؤمن بالطغيان . ونؤمن بالعنف ، لأن نظامنا الثوري القائم على اساس القضاء على الطبقات ، يتطلب الاتجاه الى كل هذه الوسائل (٢) ٠ »

مقدمة رأس المال

وفي الثورة واللحظة التي تقيض فيها البروليتاريا على زمام الحكم ، تبتدر الى القضاء على رأس المال ، والربح الناتج منه . كما يقرر ذلك ماركس وإنجلز : « ان المرحلة الاولى في ثورة العمال ، هي - كارأينا - تشييد البروليتاريا في طبقة سائدة ، والاستيلاء على الديموقراطية ، وتنستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية ، لاجل انتزاع رأس المال من البروجوازية ومركبة جميع وسائل الانتاج في ايدي الدولة . ولا يتم ذلك إلا بخنق حق التملك ، ونظام الانتاج البرجوازي بالشدة والعنف . اي باتخاذ

تدابير ٠٠٠

(١) - نفس المصدر ص ٢٤

(٢) - نفس المصدر ص ٢٤

و مختلف هذه التدابير - طبعاً - اختلافاً كبيراً في مختلف الأقطار
غير أنه يمكن تطبيق التدابير التالية ، بصورة عامة في أكثر البلاد تقدماً
ورقيناً :

- ١ - نزع ملكية الأراضي الكبرى ، وتخصيص الريع العقاري
لتغطية نفقات الدولة .
 - ٢ - فرض ضرائب متضاعدة جداً .
 - ٣ - إلغاء الوراثة .
 - ٤ - مصادرة جميع أملاك المهاجرين العصاة المتمردين (١)
- ولا يغفل أنجلز : أن يؤكد هذا المعنى : « وحينما تقبض
البروليتاريا على زمام الحكم تحول وسائل الانتاج إلى تملك الدولة وبذلك
تختلاص من طابعها البروليتاري (٢) » .
- ثم يكرر مناداته بذلك باعتبارها النقطة المركزية في تشييد الكيان
الشيعي : « ... تتولى البروليتاريا على سلطة الدولة . وتحول وسائل
الانتاج باديء ذي بدء إلى ملكية الدولة (٣) » .

(١) - (البيان الشيعي) ص ٥٢ - ٥٣

(٢) - فردرريك أنجلز . (الاشتراكية بين الخيال والعلم) ص ٧٢

(٣) - لينين . « الدولة والثورة » . نقلاب عن أنجلز ص ٢١ - ٢٢

القضاء على الملكية الفردية

ويتلو ذلك كله حلة عاصفة ، للقضاء على الملكية الفردية بصورة واسعة ، وإن لم تكون رأس المال . فإن من يملك ملكية معينة ، باستطاعته أن يستغنى عن الدولة ، ولو فترة قصيرة ، فيتمدد على مقدساتها ، وذلك ما تخشاه الحكومة الشيوعية ، ولذلك تعمد إلى انتزاع الملكية الخاصة من جميع الأفراد ، كي يطلوا محتاجين إلى الدولة عند كل وجبة طعام .

هكذا نجد ماركس والأنجلزي صرحان : « .. وعلى هذا فباستطاعة الشيوعيين : أن يلخصوا نظيرتهم بهذا الصدد في هذه الصيغة الوحيدة ، وهي : القضاء على الملكية الخاصة (١) . »

ثم نجدهما يسعلان هذه الصيغة في موضع آخر : « إن ظروف معيشة المجتمع القديم قد أضجعت ، ولم يبق لها أثر في ظروف معيشة البروليتاريا ، فالبروليتاري محروم من الملكية (٢) . »

وحاول لينين تفكيك هذه الخطة واضاف إليها قائلًا : عام ١٩٢٠ « يجب أن يكون مفهوما : أن العامل الذي يعمل في معمل من العامل

(١) - (بيان الشيوعي) ص ٤٣

(٢) - نفس المصدر ص ٣٩

لأيملك نفسه ، فالمعلم هو الذي يملكه (١) .
 وليس من المجيب ان يدللي لينين بهذا التصریح بعدما تلقى من
 أسياده البيان التالي : « إن كل الطبقات التي كانت تستولي على السلطة
 فيما مضى ، كانت تحاول ثبيت او ضاعها المكتسبة ، باخضاع المجتمع بأسره
 لأسلوب التملك الخاص بها ، ولا تستطيع البروليتاريا الاستيلاء على القوى
 الناتجة الاجتماعية ، إلا بهدم أسلوب التملك الذي كان خاصاً بهذه القوى
 أي بهدم كل اسلوب للتملك مرجعي الاجراء الى يومنا هذا . ولا تملك
 البروليتاريا شيئاً خاصاً بها ، حتى تصونه وتحميها افعليها اذن ان تهدم كل
 ضيافة خاصة ، وكل أمان خاص موجود (٢) . »

وعلى ضوء هذه التمامات صرخ ستالين سنة ١٩٤٧ م : « ان
 النظم الاقتصادية التي تؤمن بها الشيوعية ، هي النظم التي تعتمد على ثلاثة
 اسس ، هي أولاً : الغاء الملكية الفردية ، الغاء تماماً ، وثانياً : القضاء على
 نظام الطبقات ، قضاها تماماً ، وثالثاً إحتكار الدولة لكل مصادر الثروة
 احتكاراً تماماً ، . . . ولهذا فاننا نعارض كل النظم الاقتصادية التي لا تقوم

(١) - (النظام الشيوعي) ص ٤٧

(٢) - كارل ماركس وفريديريك إنجلز . (بيان الشيوعي) ص ٣٩

على هذه الاركان الثلاثة (١) .
 واضاف قائلاً سنة ١٩٣١ م : « نحن لانسمح لاحد بادخار اموال ،
 واستخدامه في شراء العقار اذلك أتنا تناهض كل ضرب من ضروب
 الملكية الخاصة (٢) . »

ولقد كان لينين يتبعج ببيانات أسياده ويضيف عليها اشياء واشياء
 ولكن أسياده كانوا يتفلسفون ويكتبون ، وما اسهل ان يفرغ الانسان
 خواطره على الورق ، كما ان لينين - أيضاً - قضى شطرأ من حياته وكانت
 الاحلام تداعب خياله ، وهو يتربع على ارجح الارهام ، فكان يكيل
 الخطط ويفصلها بلا حساب .. وما إن بلغ مرحلة التطبيق حتى اصطدم
 بالواقع المحي ، الذي حد من طيه ، وفل نشاطه وعزاته ، فجعل يرذح
 تحت الكابوس الذي أعده لنفسه ، فلنسمع الى زفاته : « .. ولكنه
 من الأصعب الى ما لاحد له ، محو الطبقات ، فان الانقسام الى عمال
 وفلاحين مايزال قائماً فاذا أقام الفلاح على قطعة من الارض واستثار
 بهائض قمه ، أي القمع الذي لا يحتاج اليه ، لا لنفسه ولا لمشيته ، فـ
 حين يظل جميع الآخرين بلا خبز ، فان هذا الفلاح يستحيل إذ ذاك

(١) - (النظام الشيوعي) ص ٤٦

(٢) - نفس المصدر ص ٤٨

إلى مستمر ٠٠٠

ينبغي أن يشتعل الجميع وفقا ل برنامنج مشترك ، على ارض مشتركة
وف المصانع والمعامل المشتركة ، وفقا لنظام مشترك (١) ٠
ثم جعل يستصرخ الشيوعيين لينظموا البروليتاريا في كفاح مشترك
 عليهم بؤدون مسؤوليته : « إن الاخلاق الشيوعية ، إنما هي الاخلاق التي
 تخدم هذا النضال ، وتوحيد الشغيلة ضد كل ملكية صغيرة ، لأن
 الملكية الصغيرة تضع في يدي فرد واحد ما أبدعه المجتمع بأسره ٠
 إن الملكية بنظرنا ملكية مشتركة (٢) ٠

بعض ملامح العائلة

ان بعثرة العائلة وإشاعة النساء ، من الشيوعية كجزء لا يتجزأ منها
 فالمجتمع الشيوعي - كما يقول لينين - إنما هو شيوعية في كل شيء (٣)
 والعائلة تعرقل طريق الاقتصاد الشيوعي في الصميم !! فهي - أولاً - تهدى
 فيضا من نشاط رب الأسرة ، لحماية مصالحها ، والدفاع عنها ، والولا .

(١) لينين . (مهام منظمات الشباب) ص ١٧ ط موسكو

(٢) لينين نفس المصدر ص ١٨

(٣) لينين نفس المصدر ص ٢٣

للامرة يعوق الشيوعي عن القيام بواجبه العامة والخاصة ، وربما يدفعه الى مخالفة النظام ، وذلك ما تأباه الشيوعية كما صرخ بذلك ستالين سنة ١٩٣٠ م : « مادمنا ننكر الاديان ، فاننا لا نستطيع ان نأخذ بالآراء القائلة بان للاسرة قداسة ... فكل الفداسات زاففة . نحن لا نريد ان يكون للاسرة اي نوع من انواع القدسية ... مثلما لا نريد ان يصبح الولاء العائلي ، عائقا يحول دون تحقيق أهدافنا (١) »

وكما صرخ من قبله اينين عام ١٩٢٢ م : « نحن لانؤمن بالافكار المثالية من الاسرة ، فهذه الافكار المثالية تنادي يجعل الاسرة مجتمعا ذا كيان خاص له استقلاله ... ونحن لانؤمن بمثل هذه المثالية ، التي تشجع على جعل الوطن مجموعة من الاسر المتناثلة (٢) ٠ ٠ ٠ »

وفيما بعد رأى ستالين أن يكشف النقاب بكل صراحة ، فماذا يلجمه عن النصربيج بنواياد ؟ أليس هو الدكتاتور الجبار ؟ فليقل بكل وقاحة وصفاقة ! : « ... دعوني اذكر لكم بصراحة : انه من الخطير على حياتنا السياسية تشجيع ذلك المفهوم الخاطيء للاسرة ، واقتضى بذلك الاراء القائلة بأن هناك ما يسمى : الولاء للاسرة ! فالولاء الوحيد المسموح

(١) « النظام الشيوعي » ص ٥

(٢) نفس المصدر ص ٥٠

به هو الولاء الدولة (١) .

ثانياً : ان الشيوعية تفرض العمل الاجبارى على جميع القادرين من الرجال والنساء على حد سواء (٢) والعائلة تشن هذه الحركة ، لأنها تشغل النساء بالاعمال البيتية ، حتى لا يسعهن القيام بالاعمال الخارجية ثالثاً : ان فشل ماركس في الغرام الذى عصف به في غضون شبابه ، هو الذى دفعه الى الانتقام من البرجوازية ، عن طريق الدعاية للشيوعية (٣) وتبعداً ذلك نجد ان حملات ماركس على العائلة ، تختلف عن هجماته على الرأسمالية والبرجوازية فتراه ينادى - في سخرية واستهزاء : « يالهول ! .. حتى اشد تطرفاً تسخطهم نية الشيوعيين ، هذه الفاضحة المبذولة » ثم يحاول ان يطمئن نفسه تجاه هذه الغضبة القاصفة حتى من اشد الناس تطرفاً فيتسائل : علام ترکز العائلة ؟ أليست ترکز على رأس المال ؟ فاذن لا مبرر لهذا القلق ! . فسيقى على رأس المال وبالطبع يقفي على العائلة :

(١) نفس المصدر ص ٥٠

(٢) « دستور الاتحاد السوفياتي » ص ٥ المادة ١٢

(٣) ولتفصيل أنظر : محمد سعيد رمضان البوطي في « المذهب

الاقتصادي بين الشيوعية والاسلام » ص ١٤ - ١٥

« ولكن على أية قاعدة تتركز العائلة البرجوازية في الوقت الحاضر إنها تتركز على رأس المال ، والربح الفردي ! والعائلة بكلمل كيانها ، و تمام بنياتها ، ليست موجودة إلا عند البرجوازية فقط ! ولكن تتمتها هي الاعباء القسرى لكل عائلة بالنسبة للبروليتاريا ، ثم البغاء العلق »

وبعد ذلك يؤكد : أن الصلات العائلية سوف تنفص ! فان

الصناعة الكبرى تستغل الاولاد وتحولها الى تجارية بسيطة :

« ان تشدق البرجواز بين الفارغ عن العائلة والتربية ، وعن الاوامر والصلات العذبة ، التي تربط الولد بأهله ، يصبح يوما بعد يوم سخيفا مهما ! اذ ان الصناعة الكبرى تهدم كل صلة عائلية عند البروليتاريا وتحول الاولاد الى مواد تجارية بسيطة وادوات عمل صرفه ».

وحيث سجل ماركس لنفسه الانتصار نراه يستلقي على قفاه ، ليضحك من العقاية البرجوازية ، التي تستذكر إشاعة النساء . . زاعما : أن هراء البرجوازيين سوف لا ينتفعهم ، فقد كانت إشاعة النساء موجودة لدى البرجوازيين أنفسهم بصورة مكتومة . وغاية ما ينتعمون من الشيوعيين : أنهم يريدون إسقاط النقاب ، قائلين : ما هذا النفاق ؟ فما دامت الاشاعة موجودة ، فلتكن رسخة صريحة ! ولنستمع إلى قهقهات ماركس ومن حوله إمعانة ، يساعدونه في الضحك البذر :

♦ أشد ما يضحكنا هذا الذعر فوق الأخلاقي ، الذي نوجيهه إلى
البورجوازيين إشاعة النساء الرسمية . . . ليست بالشيء عين حاجة إلى
إدخال إشاعة النساء ، فهي تقريرياً كانت دائماً موجودة (١) . .
وعندما سئل أنجلز : ماهو وقع النظام الشيوعي في العائلة ؟ أجاب:
♦ سيجعل علاقات الرجل مع المرأة ، علاقات ودية محبضة ، متقدمة على
الأشخاص «المشتركون بها» ! دون ان يكون المجتمع أدنى تدخل فيها (٢)

نأيهم وسائل الاتصال

وبعد ما تم القضاء على رأس المال ، ومصادرة جميع الملكيات العامة
والخاصة ، يجب تسليمها إلى الدولة : ممثلة المجموع (٣) لتصرفها في صالح
الشعب ، وفق وازين عدل تضعها الدولة بنفسها ! دون ان يكون لأحد أى
تدخل فيها . كما ينص على ذلك الدستور السوفيتي : « تحـدد الحياة

. (١) - كارل ماركس وفريديريك أنجلز . (بيان الشيوعي)

ص ٤٧ - ٤٨

(٢) - (التعاليم الشيوعية) ص ٣١

(٣) - لقد صرّت النصوص على ذلك في « مصادرة رأس المال »

و « القضاء على الملكية الفردية »

الاقتصادية ، الاتحاد السوفيافي . وتدار بوجب مشروع الدولة ، الاقتصاد الوطني ١١

اكتساح الطبقات

وبعدما تستلم البروليتاريا مقايد الحكم ، وثروات الشعب : مجموع الممتلكات الفردية والجماعية ، تتعطف على الناس ، لفرض عليهم العمل الأجباري كما يصرح به ماركس وأنجاز : « جعل العمل إجبارياً للجميع »^(٢) وتنافي الأسواق والنقد لأن كل فرد يتلقى عن عمله اليومي ، من البضائع ما يشبع حاجاته ، فلا تبقى حاجة إلى الأسواق أو النقود : « وعندئذ يصبح في وسع السلطة المركزية ، أو أية هيئة مركزية إقتصادية وإجتماعية أخرى . أن تدير كل الانتاج الاجتماعي ، وان توزع المنتجات في مصلحة المجتمع . بدون توسط السوق ، وبدون استعمال النقد الذي ان يبقى ضرورياً »^(٣) »

(١) - « دستور الاتحاد السوفيافي » ص ٥ المادة ١١

(٢) - (البيان الشيوعي) ص ٥٣ المادة ٨

(٣) - (الاتحاد السوفيافي في مائة سؤال وجواب) ص ١٤

ن . دار البدائع

فُتندمج الطبقات في طبقة واحدة ، هي : البروليتاريا العاملة ٠ ٠ ٠
وما نفت البروليتاريا ، ذاتها ، أن قطع طبقيتها ٠ ١ كي لا تكون طبقة متحيزة
إذا مجموع عناصر الشعب الذي انتصرت فوارقها وميزاتها الذاتية منها والعرصية
وأندمجت في صيغة واحدة ، هي : الشعب ، يرسم هذا المصير المشترك
لأبروليتاريا وغيرها ماركس وإنجلز : « فإذا كانت البروليتاريا في نضالها
ضد البورجوازية ، تبني نفسها أحياً في طبقة ، وإذا كانت تجعل نفسها بواسطة
الثورة طبقة حاكمة ، ثم بصفتها طبقة حاكمة تهدم بالعنف والشدة نظام الانتاج
القديم ، فإنها بهذه نظام الانتاج القديم ، تهدم في الوقت نفسه ظروف
التناقض والتناحر بين الطبقات ، وتهدم الطبقات بصورة عامة ، وبذلك
تهدم أيضا سيادتها ذاتها ، من حيث أنها طبقة ١٢ ٠ ٠ ٠ »

فالطبقات يجب أن تهدم ٠ ١ ولكن إنجلز يرى أن الطبقات سوف
تهدم بصورة طبيعية ، كما أنها تكونت بصورة طبيعية ، وحتمية ، في الوقت
نفسه : « ٠ ٠ ٠ وهكذا سوف تتلاشى الطبقات ، بمثل الحتمية التي ظهرت
فيها ١٣ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ »

() ٠ ٠ ٠ ولكنها إذ تفعل ذلك تقضى على نفسها بصفتها

(١) - (البيان الشيوعي) ص ٥٤

(٢) - لينين (الدولة والثورة) ص ٢٠ نقلًا عن إنجلز

بروليتاريا (١) .

وقد مضى خلال التصريحات المتقدمة ، وسيأتي ، وفر من النصوص التي تؤكد : أن المجتمع الشيوعي يجب أن يحطم الطبقات ، ويقضي حتى على البروليتاريا بصفتها طبقة . ١١

الفتاوى الدينية

من المباديء المركبة في الشيوعية ، وإزاحة الاديان حتى عن قلوب الأفراد ! وذلك أن الاديان أية كانت تربط الفرد بالله ، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض ، وتحرم على الانسان القتل ، والاضطهاد ، والكذب والخداع ، والغش ، والسلب ، والفحشاء . . . فإذا علم الفرد - بواسطه الإيمان - ان التوسل بهذه الوسائل ، محظوظ عليه ، والملائكة يسجدون جميع اعماله في كتاب لا يظل ربي ولا ينسى ، والله من ورائهم محيط . . . فإذا كان الشيوعي مؤمناً بهذه المباديء فسوف لا يستخدم الوسائل المحرمة ، في سبيل خدمة الشيوعية ، بل يتخل عن الشيوعية في اللحظة التي عرف فيها هذا المبدأ المدام . . وهكذا تخسر الشيوعية مصالحها في كل مجال . . .

(١) - نفس المصدر ص ٢١ - ٢٢

ولذلك عمد قادة الشيوعية الى تبني المبدأ الفاصل : « الغاية تبرر الواسطة ! » ، التي تبيح للانسان اجتراح السيئات كلها في سبيل انتصار التضايا الشيوعية ، كي لا يتوقف الشيوعي عن اتكاب الحرام لتقديم ، او ازدهار مبدئه ، فتخسر المنظمة الشيوعية ربحاً متسحا ! ٠٠

كما ان الاديان لو ظلت تسود البلاد ، اندحرت الشيوعية ، ولم تجد لها نصيرا ، حتى ولا واحدا ! لأن الشيوعية - على أحسن تقدير - نظام مختلف يناهض نظام الاديان ، ولن يستبدل المؤمن دينه بنظام مختلف !!!

لذلك كله نجد الشيوعيين المبدئين يكرسون جهودهم لازاحة الاديان عن مجال النشاطات العامة ، كي يصلوا بذلك نشر نفوذهم ، ،، ويحاولون حق نور الایمان في قلوب الشيوعيين المخدوعين ، حتى يطمسوا من استسلامهم الكامل ، وانقيادهم الصادق ، لتنفيذ الخطط الجهنمية الموحات إياهم ٠٠٠

كما صرخ بهذه الحقيقة ستالين عام ١٩٣٨ م : « يجب على الشيوعي المخلص : ان ينكر الدين . فالدين يمنع المؤمن من التوسل بالكذب ، والخداع ، والغش ، والتضليل في نشر الدعوة التي يريد نشرها . . . اما الشيوعي المخلص الذي ينكر الدين ولا يؤمن به ، فإنه يستطيع : ان يحرر

عقله من افكار الدين المثالية ... وهكذا يستطع : ان يتوصل بكل الوسائل من كذب الى خداع ، الى تضليل ، الى غش ، في تحقيق الاهداف الشيوعية (١) .

ولهذا الغرض تبنوا «الديالكتيك» كفلسفة اساسية يركزون عليها مبدئهم .. معترزين بأفكار «هيجل» و «لودفيغ فورباخ» و «دارون» و «فرويد» ... مرددين مع «هرقلطي» : ذلك الرجل الاغربي : «العالم هو واحد لم يخلقه اي إله ، او اي انسان ! وقد كان ولايزال وسيكون شعلة حية الى الابد ، تستعمل وتنطفيء تبعاً لقوانين معينة (٢) ...

هكذا نجد كارل ماركس وفرديريك انجلز يهتفان ، بكل وقاحة وصفافية : «... وما القوانين والقواعد الأخلاقية ، والاديان بالنسبة اليه (العامل) إلا اوهام و/or جوازية ، تستتر خلفها مصالح بورجوازية (٣) ... بهذه الانهايات والتشوبيات الفارغة ، يحاول ماركس : ان يشوّه الاديان ويقضى عليها ، قبل ان تقضي عليه ، غير ان لينين اخذ يعبر

(١) - النظام الشيوعي ص ٥٤

(٢) - ستالين «المادية الديالكتيكية» ص ٢٧

(٣) - (البيان الشيوعي) ص ٣٩

عن الواقع الجاثم في وجهه حيث رأى ان الدين يكون سداً منيعاً امام افكار الاشتراكية ، لذلك جعل يحارب الدين اقتربا من الواقع الاشتراكي ، فصرح عام ١٩٠٢ م : « كلما تحررنا من قيود الدين ، إزددنا اقتربا من من الواقع الاشتراكي ٠٠٠ ولهذا يجب علينا : ان نتحرر عقولنا من خرافات الدين (١) ٠ ٠ »

من هنا اخذ يطلق التهم والاقرارات على الدين عليه ينفر الناس منه فقال لينين سنة ١٩٠٥ م : « الدين هو افيون الشعوب ٠٠٠ فالدين ورجل الدين يخدران أعصاب المظلومين والفقرااء، ويجعلانهم يرضخون للظلم - ٢ - ٠ ٠ »

وحيث لم تنجح مؤامراته ضد الدين بالالفاظ المتباينة ، جعل يوجه حزبه لمحاربة الدين قائلًا سنة ١٩٠٥ م : « ان حزبنا الثوري لا يستطيع ان يقف موقفا سلبيا من الدين ٠٠٠ فالدين خرافة وجهل - ٣ - ٠ ٠ »

وحيث كان ذلك قبل الثورة الشيوعية في روسيا ، كان يرهب

(١) - (النظام الشيوعي) ص ٥٢

(٢) - (النظام الشيوعي) ص ٥٢

(٣) - نفس المصدر ص ٥٣

غضب الشعب إذا أطلاعوا على إلحاده وكفره ، فكان يوصي خربه سنة ١٩٠٥ م : « يجب : أن تهتم عناصرنا التي تقوم بالدعـاية الشـيـوعـية ، بنشر الـلـاحـادـ والـدـعـوـةـ لـهـ ، وـلـكـنـ بـطـرـقـ سـلـمـيـةـ خـفـيـةـ - ١ - ٠ » وصرح عام ١٩٠٥ م : « لماذا لأنـعنـ فيـ برـاجـبـناـ أـنـناـ مـلـحـدـونـ ؟ـ إـنـاـ نـفـعـلـ ذـلـكـ لـكـيـ لاـ نـزـوـ دـخـصـوـمـنـاـ بـسـلـاحـ يـهـاجـمـنـاـ بـهـ .ـ .ـ .ـ فـعـدـ المـؤـمـنـينـ بـالـلـهـ لـاـ يـزـالـ يـفـوقـ عـدـ الـلـمـحـدـيـنـ » .ـ .ـ .ـ (٢) » .ـ .ـ .ـ

وبعد ما سيطر الحزب الشيوعي على روسيا ، وساد الإرهاب وزجوا بالمؤمنين في الأحود والسجون ، وخنقوا أصوات الشعب ، حتى ذابت في أذير ارصاص وهبوا المدافع ، سقط النقاب وإذا بستالين يقول عام ١٩٢٧ م : « إنـاـ نـقـوـمـ بـالـدـعـوـةـ ضـدـ الـدـيـنـ الـأـنـ ،ـ لـاـنـاـ أـقـوـىـ مـنـ انـ يـنـالـ خـصـوـمـنـاـ مـنـ طـرـيقـ التـشـهـيرـ بـالـلـاحـادـنـ .ـ .ـ .ـ لـقـدـ كـنـاـ نـحـرـصـ فـيـ الـمـاضـيـ عـلـىـ عـدـمـ إـعـلـانـ الـلـاحـادـنـ لـكـنـ نـكـنـ أـقـوـيـاـ ،ـ أـمـاـ الـأـنـ فـاـنـاـ نـعـلـنـ بـصـرـاحـةـ أـنـاـ مـلـحـدـونـ ،ـ وـأـنـاـ نـرـىـ فـيـ الـأـدـيـانـ خـطـرـآـ عـلـىـ الـحـضـارـةـ الـإـنـسـانـيـةـ .ـ .ـ .ـ فـالـأـدـيـانـ أـفـيـوـنـ مـخـدرـ (٣) » .ـ .ـ .ـ

واردف ذلك عام ١٩٤٤ م قائلاً (نحن ملحدون .ـ .ـ .ـ وـنـحنـ)

(١) - نفس المصدر ص ٥٢

(٢-٣) - نفس المصدر ص ٥٢

نؤمن بـان فـكرة الله خـرافة . . . وـنـحن نـؤـمن بـأن الإيمـان بالـدين يـعرـقل تـقدـمنـا وـنـحن لاـنـريد أـن نـجـعـل الدـين مـسيـطـرـاً عـلـيـنـا . لـأـنـنا لاـنـريد أـن نـكون سـكـارـى (١) .)

وـليـس من المـدهـش أـن يـتـجـزـأ ستـالـين بـهـذـه الكلـاـت الـبـذـيـثـة بـعـدـماـمـعـ ليـنـين عام ١٩١٣ مـ وـهـو يـقـول : { ليس صـحـيـحاـ . أـن الله هـو الـذـي يـنـظـم الـأـكـوـان . . . وـأـنـما الصـحـيـح هو أـن الله فـكـرة خـراـفـيـة ، اـخـتـلـقـها الـإـنـسـان لـيـمـرـ عـجـزـه ! . . . وـهـذـا فـاـن كلـشـخـص يـدـافـع عن فـكـرة ، إـنـما هو شـخـص جـاهـل عـاجـز (٢) .)

وـبـعـد ما سـمعـه وـهـو يـقـول - اـيـضاـ - عام ١٩١٥ مـ : { الدـين مـرـتـبـط بـالـظـلـم دـاـئـمـاـ ، . . . فـحـيـثـاـيـوـجـد الـظـلـم يـوـجـد الإـيمـان بـالـدـين . . . وـاـذـا مـاتـخـلـصـنـا مـن الـظـلـم ، وـجـب أـن تـخـلـصـنـا مـن الدـين . . . بل إـن تـخـلـصـنـا مـن نـفـوذـ الدـين يـسـاعـدـنـا عـلـى التـخـلـصـ مـن الـظـلـم } (٣) .)

وـهـكـذـا نـجـد ستـالـين يـذـهـب لـيـتـمـ خـطـطـ ليـنـين ، فـقـالـ عام ١٩٣٧ مـ { يـجـب أـن يـكـون مـفـهـومـا : أـن الدـين خـراـفـة . . . وـاـن فـكـرة الله خـراـفـة . . . }

{ ١ - ٢ } نفس المصادر ص ٥٣

{ ٣ } - نفس المصادر ٥٣

وان الألحاد هو مذهبنا (١) .

و تقدم ستالين خطوة جريئة عام ١٩٢٨ م حيث أراد نشر الألحاد في الجيل الصاعد عن طريق التربية في المدارس ، فقال : « يجب أن تقوم التربية في المدارس على أسماء إنسكار الدين ، وعلى أسماء إنسكار الله » (٢)

و توسيع ستالين عام ١٩٣٣ م فاراد أن ينشر الألحاد في الوعي العام فقال . (المقاومة النافعة هي التي تحرر عقول الناس من استبداد الدين . . . والتعليم النافع هو التعليم الذي ينشر الألحاد . . . والرأي العام الصالح هو الرأي العام الذي لا يؤمن بآية أفكار سوى الأفكار الماركسية) (٣)

و علل ذلك عام ١٩٣٥ م فقال الدين هو الذي يغرس في نفوس الناس الأفكار والأخلاق المثالية التي لا وجود لها في الواقع . . . ولهذا نحارب الدين ، لأننا لا نريد أن تتغلغل في نفوس الناس آراء مثالية زائفة (٤) .

(١) نفس المصدر ٤٤

(٢) نفس المصدر ص ٤٤

(٣) نفس المصدر ص ٤٥

(٤) نفس المصدر ص .

محاربة الدهري

ـ بما يحرض عليه الشيوعيون ، لنفس الغرض الذي من أجله يحاربون الأديان ، وذلك أن الشيوعية تزاحم الأخلاق ، في الخطوط المعاكسة ١١ . حتى لو بقيت النفوس مؤمنة بالأخلاق الإنسانية النبيلة . لمكفرت بالشيوعية ، وأساليبها ، واهدافها ، على ضوء ذلك نجد لينين يتجلى إلى تفسير الأخلاق بكل ما يخدم النضال الشيوعي . . . ويجعل الشيوعية هدفاً ووسيلة للحياة ، كي لا ينكر الناس في غيرها ، ويكرسوا طاقاتهم لخدمتها ، دون أن يعيقهم منها دين أو ضمير أو أخلاق ، فيقول لينين : « غالباً ما يزعم : أن ليس لنا أخلاق خاصة بنا ، وفي معظم الأحيان تدهمنا البورجوازية : نحن الشيوعيين باتنا ننكر كل الأخلاق ، وتلك طريقة لتشويش الأفكار ، لتضليل العمال والفلاحين ، باي معنى ننكر الأخلاق ، وننكر السلوك ؟؟ بالمعنى الذي تبشر به البورجوازية التي كانت تشتق هذه الأخلاق من وصايا الله وبعدها الصدد نقول : بالطبع إننا لا نؤمن بالله ونعرف جيداً جداً : أن رجال الدين ، وكبار الملائكة العقاريين كانوا يتكلمون باسم الله لكي يؤمنوا مصالحهم

كستثمرين (١) ... إن كل أخلاق من هذا النوع مستفادة من مفاهيم غريبة عن الإنسانية غريبة عن الطبقات، إن كل أخلاق كهذه تنفيها وتذكرها ونقول : إنها تخدع العمال وال فلاحين ، وتنفهم وتحسوا أدمغتهم حشوا .. إننا نقول : إن أخلاقنا خاضعة تماماً لمصالح نضال البروليتاريا الطبقي إن أخلاقنا تنبثق من مصالح نضال البروليتاريا الطبقي (٢) »

فالظلم والاضطهاد ، والغش ، والخداع ، وسائر المظالم والجرائم ، من صهيون الأخلاق مادامت تخدم نضال البروليتاريا الطبقي ، وأما الأخلاق الفاسدة ، التي تناقض الشيوعية ، وتبذر مساوئها ومقاصدها ، فانها تخدع العمال وال فلاحين ! لماذا ؟ لأنها تربح عنهم فسدة الشيوعية ، وتنكس عنهم سكرات الاغراء ..

(١) ليس من العجيب ان يكفر لينين بالله والأخلاق ، تلبية انداء الشيطان ، واستسلاماً لعواطفه الفاجرة ، ومصالحه الفردية الرخيصة ، وارضاً ، لحزبه ومبدئه ... ولكن الذي يثير العجب أنه كيف لا يستحبى ان يتم لهم بكل صفاقة جميع المؤمنين بالله بـ : « انهم كانوا يتكلمون باسم الله لكي يؤذنوا مصالحهم كستثمرين ... ） ولتكنا نفقد هذا العجب متى استمعنا اليه في الكلمات التالية ।

(٢) لينين (مهارات منظمات الشباب) ط موسكو ص ١٥

ويذهب ليينين إلى حيث يقول : إننا لا نؤمن بالأخلاق الابدية (١) وإننا نفضح جميع القصص والحكايات الكاذبة . الملفقة حول الأخلاق (٢) فليفضح البراهين والحكم الصادقة الواردة حول الأخلاق الإنسانية النبيلة ، إن كان من الصادقين ; ولكن الواقع أن زعماء الشيوعية ، كاذناتهم لا يملكون الحجج والبيانات وإنما يطلقون دعاوام الفارغة ، ثم يؤيدونها بالسخرية ، والاستهزاء السخيف ليطمسوا بذلك الحقائق البارزة ، ويحسبون أن الدكتاتورية الفكرية تتجه ، كما نجحت دكتاتوريتهم الخارجية

وقد فصل «أنجلز» قاعدة من كربة للأخلاق يميز بها الحسن من القبيح : فقال عام ١٨٧٧ م «إننا نرفض شتى المحاولات التي تحاول أن تفرض علينا أخلاقاً تُسند إلى «المثاليات» : ذلك أننا نؤمن : أن الأخلاق تفرض علينا أخلاقاً تُسند إلى «المثاليات» : ذلك أننا نؤمن : أن الأخلاق

(١) يزعم الشيوعيون ان كلشي ، يتطور ، حتى الأخلاق - فمثلاً - كان الظلم قبيحاً في القرن العاشر ، أما في القرن العشرين فقد أصبح حسناً وكذلك قتل الأبرياء ، والسرقة والخيانة ، كانت من الرذائل ، فاصبحت - في ظل الشيوعية - من الفضائل وعلى ذلك يعني ليينين قوله : (إننا لا نؤمن بالأخلاق الابدية) لأن الأخلاق عنده متطرفة ، فالخلق الواحد يكون حسناً وفيه بعضاً لفظاً ! . . .

(٢) نفس المصدر ص ٢١

هي نتاج الاوضاع الاجتماعية : ولما كانت الاوضاع الاجتماعية متغيرة فان مفاهيم الاخلاق لابد ان تتغير . . . إن الاخلاق التي نؤمن بها هي كل عمل يؤدي الى تحقيق انتصار مبادئنا ، منها كان هذا العمل منافيا للاخلاق العمول بها » (١) ١١

وعن هذه النظرية عبرلينين قائلا : « إن ما يقوم في أساس الارخلاف الشيوعية ، هو النضال في سبيل ترسیخ الشيوعية ، وإنجاز بنائها . ذلك هو أيضا أساس التربية الشيوعية والتنقیف الشيوعي ، والتعليم الشيوعي (٢) » و بعدما تركت هذه القاعدة كمبدأ اساسي فمن الطبيعي ان ينبع من هنا قوله لينين عام ١٩١٠ م : « يجب على المناضل الشيوعي الحق : أن يتمرس بشتى ضروب الخداع ، والغش ، والتضليل . . . فالكافح من أجل الشيوعية ، تبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية (٣) »

فالمناضل الشريف يجب عليه : أن ينبذ الاخلاق ، ويعرف : أن الاخلاق في سحق الاخلاق مما تطلب ذلك مصالح البروليتاريا ، أما إذا حفظه الوازع الديني على اعتناق مبادئه الأخلاقية ومثله العليا فان لينين حدد

(١) (النظام الشيوعي) ص ١٨

(٢) لينين (مهامات منظمات الشباب) ص ٤٤

(٣) (النظام الشيوعي) ص ٢٠ - ٢١

موقفه حيث قال عام ١٩١٨ م : « إذا لم يكن المناضل الشيوعي قادرًا على أن يغير أخلاقه وسلوكه وفقاً للظروف ، مما تطلب ذلك من كذب وتضليل وخداع ، فإنه لن يكون مناضلاً ثورياً حقيقياً (١) . »

إنه ليس شيوعياً محترفاً ، لأنَّه لا يتطوّع للأفكار الشيوعية ، أما الشيوعي الحق فهو الذي يتوصّل إلى تحقيق الاهداف الشيوعية ، بما تتطلبه الظروف الخاصة من التضحية بكل شيء حتى بالأخلاق والكرامة والضمير كما قال لينين عام ١٩٢٠ م : « إنَّ المناضل الشيوعي الثوري الحق هو ذلك الذي يبذل كل تضحية يفرضها عليه تحقيق المهداف الشيوعي ، ولو تطلب الأمر التضحية بالأخلاق والكرامة والضمير ... فالمهداف المثالي الحق هو تحقيق المجتمع الشيوعي (٢) . »

وذلك لأنَّ الشيوعية هدف نبيل يجب التوصل إليه . أما الواسطة فلتكن ماتشاء ! أو ليست الغاية تبرر الواسطة ؟ هذا هو منطق لينين عام ١٩٣١ م عندما قال : « يجب أن يكون مفهوماً : أنَّ الشيوعية غاية نبيلة وان تحقيق الغاية النبيلة يتطلب في كثير من الأحيان استخدام وسائل غير نبيلة ... وهذا فإنَّ الشيوعية تبارك شتى الوسائل المراهضة للأخلاق ، مادامت هذه الوسائل تساعد على تحقيق أهدافنا الشيوعية (٣) »

(١ و ٢ و ٣) نفس المصدر من ٢١

وأجد نفس النغمة تردد على لسان ستالين فقد صرخ عام ١٩٢١م «لن تكون ثورينا مناضلين بحق، الا إذا طبقنا دائماً ما تعلمناه من (ماركس) عن ضرورة استخدام كل الوسائل الأخلاقية ، وغير الأخلاقية في كفاحنا من أجل الشيوعية (١) . »

وفي عام ١٩٣٨م بعدما انتشرت الشيوعية في شتى الأقطار ، أراد ستالين أن يزودهم بنفس السلاح الذي نجح به في روسيا ، ويعذبهم بتلك الأفكار التي استمدتها من آسياده الشيوعيين فإذا به يوجه إليهم هذا النداء : «إن الشيوعي المخلص في الدول غير الشيوعية ، هو ذلك الذي يعرف كيف يقضي على نظم الحكم غير الشيوعية ، بلا هواة وبلا رحمة وبلا شفقة .. وهو ذلك الذي يستعين بكل وسائل التضليل ، والخداع ، وسعة الحيلة . لفرض النظم الشيوعية على البلاد التي يعمل فيها (٢) . »

وكان قبل ذلك في عام ١٩٢٨م قد ادل إلى عملاته في البلاد غير الشيوعية بهذا التصرير : « نحن نبارك كل عمل يؤدي إلى التعجيل بتحقيق الشيوعية الدولية . . . وهذا نبارك كل ضرب من ضروب التحرير الداخلي والعلن والشاحنات . والاضطرابات . . . فكل هذه الامور تؤدي إلى

(١) (النظام الشيوعي) ص ٢١

(٢) نفس المصدر ص ٤٤

نحو ظهير القوانين المساعدة

وفي قيام الثورة الشيوعية المالمية ، هو الحلم الأشقر ، الذي ظل يداعب الشيوعيين جديعا . فمنذ عام ١٨٦٢ م كان كارل ماركس يقول : « لا بد أن يأتي يوم تصبح فيه العلاقات الشيوعية ، هي العلاقات التي تحكم كل مجتمع في شتى أنحاء العالم .. ولا بد أن يأتي يوم يصبح فيه العالم كله شيونيا » (٢) وبعد ما جاء لينين إلى الحكم رأى ان القوانين المساعدة في البلاد غير الشيوعية رغم أنها غير صالحة ولكنها خير من النظم الشيوعية ، ولا بد ان تغرس تلك القوانين الشيوعيين الذين يتداولون العلاقات مع غير الشيوعيين ، ولا بد ان يتم عرض ذلك عن قيام ثورة داخلية ضد الشيوعية لذلك عمل لينين إلى احداث توتر العلاقات بين شعب روسيا وشعوب العالم ، ووضع السياج الحديدي بين البلاد الشيوعية ، والبلاد غير الشيوعية ، كي يأمن انتشار الوعي السياسي في بلاده .. وقد عبر ستالين عن هذه الحقيقة عام ١٩٣٤ م ولكنه سكبه في اسلوب آخر . حيث قال : « دعوني أذكر

(١) نفس المصدر ص ٥٨

(٢) المصدر ص ٥٩

لكم بصرأحة أن نظامنا الشيوعي في الداخل سيظل مهدداً بالخطر ، مالم فلخ
في تحقيق الشيوعية الدوائية . . فا دامت الدول المحيطة بنا مناهضة لنظام
الشيوعي ، فاها لن تكف عن محاربتنا . . وهذا يحجب التعبير باشعال نار
الثورة الشيوعية العالمية (١) . »

وفي عام ١٩٢٠ م صرّح لينين بذلك عندما قال: « لقد نجحنا في فض
القوة . ولهذا لن تخلي عن هذه القوة إلا بعد أن نحقق ثورتنا العالمية . .
ولكن هذه القوة ستظل سلاحنا في كل وقت (٢) . »
فإذامت في العالم نظام غير شيوعية ، فإن الشيوعية - بذلك - مهددة -
بالخطر المدمر ، دون أي محاولة من أحد ، لذلك لا بد للحكومة الشيوعية أن
تشعر السلاح لكتبة الانتفاضات والحركات الداخلية ، ولا تستطيع أن تضع
السلاح إلا إذا سيطرت الشيوعية على العالم كله ، حينما يطبق الظلام ، فلا
يرى أحد بصيراً من الضياء . . ومع ذلك فلا يمكن وضع السلاح بحال ، لأن
الشيوعية غير ملائمة للطابع الأصلي ، فهي لا تنسجم مع الواقع حتى
تقبلها بسلام بل الواجب أن تفرض على الناس فرضاً . .
فلا بد من تطبيق الشيوعية على العالم كله ، كي تحرمن شيوعية روسيا

(١) نفس المصدر ص ٥٦

(٢) نفس المصدر ص ٢٢

وإلا فإنها محاولة باشباح الخطر التي ترتجف في كل مكان . . وقد اشار الى ذلك اينين عندما قال : « يجب أن نعلم الشيوعيين في كل مكان ، كيف يعملون على تحقيق الثورة الشيوعية العالمية . . فالنظم الشيوعية في أيّة دولة شيوعية ، لاتصح ولا تزدهر ، الا إذا قامت الثورة الشيوعية الدولية ، لتحرسها (١) . »

وقد صرّح بذلك سالين - ايضاً - عام ١٩٢٦ م قائلاً : « لن يستقر نظامنا الداخلي ، إلا إذا نجحت الأحزاب الشيوعية في إشعال نيران الثورة في كل مكان بالعالم (٢) . »

الصلال الديجبارى

إن حب الذات يوزع الإنسان إلى الخلود في التسلية ، والنكول حتى عن أبسط المتعاب والأعمال؛ فهو بنفسه توافق إلى المدوه والارتياح وسوف يضرّب الإنسان أن يحرك إصبعه . إلا إذا كان هناك وازع أقوى من حب الارتياح ، ينبعث من حب الذات - ايضاً - فالأنسان يسمح لنفسه أن يضحي

(١) نفس المصدر من ٥٥

(٢) نفس المصدر من ٥٨

بشرط من راحته ، إذا كانت هناك منفعة راجحة ، توفر للإنسان من وسائل الراحة مقداراً أوسع من كمية التضحيات ، التي يتطلبها الموقف ، - فمثلاً - الفرد يعمل ٨ ساعات شريطة أن ينال كفأة من الراحة ١٦ ساعة . . . كما أنه مستعد للعمل ١٦ ساعة متى علم أن ذلك يوفر له أسبوعاً من الراحة - مثلاً . . .

وكذلك يتدرج الإنسان في إرهاق نفسه متى ضمن له مدد من الراحة المدحورة ، يمكنه سحبها متى شاء ، وذلك لا يكون إلا بالمنافع الشخصية المترافقية .

أما إذا علم الفرد : أنه لا ينال جزاء عمله وجهاده موافوراً ، وإنما يسلب منه ريع إنتاجه ، ومكاسب جهاده بصورة منتظمة الزامية ، فلا بد أن يدب فيه روح التبرم ، ويتجيئ إلى الاضراب عن العمل ، ، ، والنظام الشيوعي حيث يعرف ذلك ، يقرر أن يكون العمل إجبارياً للجميع ، حتى يعموا ، لارغبة في الإنتاج ، بل خشية العقوبات . . . فنرى كارل ماركس وفردريك إنجلز عندما كانا يضعان الخطوط العريضة لاشيوعية التطبيقية في أكثر البلاد تقدماً ورقياً ، يجعلان المادة الثامنة منها : « جعل العمل إجبارياً

للجميع (١) .

(١) (بيان الشيوعي) ص ٥٥

حتى أن نوع العمل، ومكانه، إيجاري ليس لأحد إبداء رأيه في الموضوع، بل الدولة تحدد لكل فرد عملاً، يؤخذ منه على تركه، كما صرَح بذلك ستالين عام ١٩٣١ م : « نحن لا نتساهل مع أولئك البلهاء، الذين يظنون : أن حق العمل يعني حق اختيار الوظيفة أو العمل أو المكان الذي يملؤن فيه . . . فنحن نحدد نوع العمل ومكانه وفقاً لما تتطلبه أوضاعنا الاقتصادية (١) »

وليس للعامل حرية ترك العمل، فإنه يعتبر بذلك عنصراً هاماً للنظام الشيوعي، يجب مؤاخذته قبل أن يفت في عضد النظام السوفيافي، ذلك ما قاله لينين عام ١٩٢٢ م : « يجب أن يكون مفهوماً أن أي عمل في أي مصنع من المصانع، هو عمل حددته الدولة للعامل . . . ولن نتساهل بأية حال من الأحوال مع العمال الذين يهجرون أعمالهم . . . فامثال هؤلاء العمال يعتبرون، في نظرنا، عناصر هدم لنظامنا السوفيتي (٢) »

ولقد من الكلام على العمل الإجباري تحت عنوان : اكتساح الطبقات.

(١) نفس المصدر ص ٤٨

(٢) نفس المصدر ص ٤٧

رفع النقود والاسواق

فيجب على الجميع : أن لا يفرطوا في اداء مسؤولياتهم ، المرسومة من قبل الدولة ، دون أي تردد أو نقاش . . . كما تخجى الدولة أرباح مكاسبهم وتقرر لهم معدلا من الاجور ، غير ان النقود لا تحول اليهم أبدا ، لان البضائع كلها ترصد في مخازن الدولة ، فماذا يصنعون بالنقود ؟ زيادة على ان الاجور لا تفضل عن عيش مقتري يحتاجوا الى النقود ليتركوها بل أجور اليوم تستهلك في اليوم ذاته . على هذا الضوء لا تبقى حاجة الى النقود والأسواق ، بل العامل يتغاضى ازاء عمله البضائع . . . كما ينص على ذلك في كتاب (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب ص ١٤٠ وقد مر ذلك تحت عنوان اكتساح الطبقات) !!!

القضاء على الدولة

وبعد ما تنفذ الدولة ، الممثلة في البروليتاريا الحاكمة ، جميع هذه الخططات ، وتدبي مسؤولياتها كاملة . . . وتروض الشعوب على ان تعيش الشيوعية ، بنفسها ، ودون أي حافز أو جاذب . . . تبقى لحكومة البروليتاريا مهمة اخرى يجب تنفيذها حتى تكمل رسالتها الشيوعية ، وهي ان تتغلص

رويدا ... رويدا ... وتنفت - هي بنفسها - قليلا ... قليلا .. حتى تبخر سلطتها وتذوب هي في مجموع الشعب ، لأن الشعب لا يسمح بتوسيط الدولة بينه وبين افراده ...

عندئذ يتحقق حلم البشرية ، ويخرج الانسان من حظيرة الحيوان الى الفردوس الاعلى ، وحكومة الضمير . . وتمود الشيوعية الاولى ، التي قضى عليها دور الرق ، والاقطاع ، والرأسمالية ..

تلك هي نظرية الشيوعيين عن الدولة .. فليتحدث عنها القادة البدائيون للشيوعية !! وايمك ذلك فرديك انجلز ! .. فلنسمع اليه وهو يقول : « .. وحينما تقبض البروليتاريا على زمام الحكم تحول وسائل الانتاج الى تملك الدولة ، وبذلك تتخلص من طابعها البروليتاري ، وتتخلص من كل تمييز وتناقض طبقي في المجتمع ، وبالنهاية تقضي على وجود الدولة ، كدولة (١) .. »

فآخر عملية يلزم على البروليتاريا القيام بها هي القضاء على الدولة ، فالدولة غير مسموح بها الا لتهدي واجبات معينة تحتاج الى إمكانات الدولة ، مسؤولياتها فلا معنى لبقائها في حكومة البروليتاريا التي تفرض قوة أجنبية على الشعب ، ان الدولة ابداً توجد لفرض قوة خاصة على مجموع

(١) - فرديك انجلز (الاشتراكية بين الخيال والعلم) ص ٧٢

الشعب : ومكافحة الاصوات المعاشرة بالقوة والتعذيب ، وحيث ان حكومة البروليتاريا نزية عن كل هذه المظالم . فهي - بالطبع - مستغنية عن الدولة ، بل انها ترفض الدولة ، ولا نسمح ببقاءها ، تلك حجة انجلز ضد الدولة : « وحيث ان الدولة وجدت تمثيل المجتمع بأكمله مثيلاً رسمياً ، فتجسيمها عملياً لا يمكن وجودها ، إلا حينما يقتصر على تمثيل الطبقة ، التي تفرض نفسها تمثيل المجتمع بكلاته . ولكن حين تصبح حقيقة تمثيل المجتمع على اختلاف طبقاته ، تصبح عندئذ لا ضرورة لوجودها ، وحين لا توجد طبقات تحت الضغط والظلم ، وحين لا يوجد صراع من أجل البقاء ، فيفوضى الانتاج ، ينعدم التصادم ، والأفراد في التناقض ، الناتج عن تلك الفوضى ، وعندئذ لا تبقى وظيفة ولا حاجة للدولة !! »

وأول حركة تقوم بها الدولة ، في سبيل فرض تمثيلها الصحيح للكامل المجتمع ، تأويها وسائل الانتاج باسم المجتمع ، فتكون في الوقت آخر حركة تقوم بها . باعتبارها دولة . وعندئذ حكم الأفراد ينسحب مجالاً للانتاج ، فيصبح له مكانة في الادارة والتوجيه . حيث ان المجتمع لا يتسامح فقط ، مع وجود دولة بينه وبين أفراده (١) . »

(١) - نفس المصدر ص ٥٢ - ٥٣

وليس هذا فحسب بل أكثر من ذلك ، ان قيام طبقة معينة بفرض ارادتها على المجتمع الوعي ، ليس امرًا من عجائب فقط ، بل يعرقل سير الامة والاقتصاد ، والسياسة ، لأنها تحدد نشاط وطاقات الافراد ، ببرامجها الخاصة فيقل انتاج الامة ، ولا يمكن اطلاق الحرفيات الكمالية في كل مجال الا بالغا ، ذلك الجهاز الموجه للمجتمع : الدولة ، يصرح بذلك انجلز قائلا : « ... يعني هذا ان نمو الانتاج الى درجة صالحة ، وعملك وسائل الانتاج والمنتجات من قبل طبقة ، كالسيطرة السياسية ، وتوحيد ونفافة ، والتحكم بالتوجيه الاجتماعي العقلي ، من قبل أي طبقة ، لاتصبح امورا من عجائب فقط ، بل تكون أيضا عقبة كاد ، في سبيل التقدم الاقتصادي والسياسي ، والعقلي (١) . »

ثم يتفلسف لذلك ، وكيف ان المجتمع اذا خرج من حكم طبقة معينة ، واستطاع ان يتمتع بأقصى حريةاته ومواهبه ، يكون حكمة انسانية يسودها الضمير ، وسيسيطر عليها العقل ، يعيش في المرة الاولى تحت رقابة الانسانية المتحررة ، ثم يسبح في الاحلام ، ويحلق في سبعات تلك الاجواء المئالية ، كشاعر يعتصر قلبه صورا وألوانا ، فلنصلغ الى تراجمته : « ... حينما سيطر المجتمع على وسائل الانتاج ، لا يعود يأخذ الانتاج صفة البضاعة

(١) - نفس المصدر ص ٧٥

اعني بوضع حدود اطريقه ملك الانتاج . الذي كلارينا ، تجعل المنتجات تتحكم
بالمنتاج ، فالغوضى في الانتاج الجماعي ، تفسح مجالا للتنظيم الوعي المثالى ،
والصراع لاجل الوجود الفردي يتلاشى . ولا نستطيع الا من تلك اللحظة
ان نقول بان الانسان خرج أكيدا ، من مملكة الحيوان ، حيث يكون
عندئذ قد استبدل شروط الوجود الحيواني ، بشروط وجود إنسانية
حقيقة . ومحوهة شروط الوجود ، التي سيطرت حتى الان على الناس ،
تصبح عندئذ خاضعة المرقابه الإنسانية ؛ وبلوغ الانسان السيادة على التنظيم
الاجتماعي ، يبلغ بذلك المرة الاولى السيادة ، والوعي على الطبيعة ذاتها
فالقوانين التي يفرض وجودها في المجتمع حتى الان معتبرة كقوانين
طبيعية غاشمة ، تفرض على الانسان سلطة غريبة ٠٠٠ ولكن منذ هذه
اللحظة ستصبح القوانين من ابداعه ، وخلقه هو ٠٠٠ فن هذا التاريخ
سيبدىء الانسان في بنا ، تاريخه يديه ، بناءً واعياً مدركا بأن الاسباب
الاجتماعية ، التي يحررها دوما تنتهي بتقدم النتائج ، التي يريدها ، وعنده
خرج الإنسانية من مملكة القدر لتدخل في مملكة الحرية (١) .
كان بارقة أمل كانت تلوح لأنجلز ، او استبدلت به الهواجس في
هدئة الظلماء فجعل يهدي بهذه الاساطير : «منذ هذه اللحظة . . »

(١) - نفس المصدر ص ٧٦ - ٧٧

« فن هذا التاريخ ٠٠٠ »

غير ان الليل لم يجرف هذه الاطياف ، بل ظلت تراود أفكار لينين - و حتى بعد ان مرت به تجارب قاسية - فتراء يقول - نافلا عن انجلز - « . تتولى البروليتاريا على سلطة الدولة ، و تحول وسائل الانتاج بادي ذي بدأ الى ملكية الدولة لكنها إذ تفعل ذلك تقضي على نفسها بصفتها البروليتاريا و تقضي على الدولة بصفتها دولة ٠٠٠ ان الدولة لم تلغ بل هي تقضي ٠٠٠ (١) » و يؤكّد ذلك من دادا كلام انجلز : « ٠٠٠ و ان ظلت غير ملائمة لحزب ليس برنامجه الاقتصادي اشتراكيا ، بصورة عامة بكل بساطة ، بل شيوعيا على وجه الدقة ، لحزب هدفه الأخير حذف كل دولة ، و حذف الديموقراطية وبالتالي (٢) ٠٠٠ (٣) »

(١) - لينين (الدولة والثورة) ص ٢١ - ٢٢

(٢) - نفس المصدر ص ١٠٠

(٣) - ليس نقلنا لتصريحات لينين و ستالين ، غفلة او خلطان للمباديء ، فانا اعلم أن لينين و ستالين اشتراكيان وليسما بشيوعيين و تصريحاتهم ليست حجة على الشيوعية ، غير أنها عندما يشرحان كلام ماركس او انجلز ، أو يجريان على نظريتها فان تصريحاتهما حجة على الشيوعية ولذلك تجد في كل موضوع اتنا لا نكتفي بتصريحاتهما بل نسجل أيضاً من تصريحات ماركس أو انجلز ٠

حساب الشيوعية

فشل الشيوعية

هناك طريقتان ، نتيخذ كلا منها قاعدة لمناقشة الشيوعية :

١ - التساؤل عما اذا كانت النظرية الشيوعية ، امرا واقعيا
 يستطيع تطبيقه ؟ ام هي فكرة من نوع «المثاليات» التي تتآبى على
 على الواقع ، ويلفظها الصعيد التطبيقي ؟ مع فرض الاقتناع بعد التها ، وعدم
 خطورتها .

٢ - البحث عن الخواص والأضرار التي تستتبعها الشيوعية ،
 والاختفاء ، والإغلاط التي تتشوش بها النظرية الشيوعية .

مثاليات الشيوعية

ان أهم نوع من أنواع الفشل لمبدأ ما ، هو ان يكون ذلك المبدأ
 مستعصيا على التطبيق ، وان يكون التاريخ قد أعلم عجزه عن تطبيقه
 لحقبة ، من حقبه الزئنية ، وادل ما يسترعى الاذهان من التحلل النابع من
 النطرف الشيوعي هو التساؤل التالي :

اسفه و اب

هل النظام الشيوعي نظام يمكن تطبيقه على صعيد المجتمع ، كما امكن
وصنه على صعيد الورق . أم أنه وهم يعيش في الخيال ، ولا يبرز للنور
إلا ويشير التهريجات والفوضى في الانجاهات والافكار ، حتى اذا تبرع
المتطفلون بالوسائل لتطبيقه ، طار من أكف دعائه كما يطير الوهم ، وانسحب
كما تنسحب الاطياف امام أشعة الصباح !!

اضفأات اهرام

ثُمْ يأتيانا الجواب سلبيا : « نعم ! إنه نظام مثالى غير صالح للتطبيق
!!! » فقد كان ماركس رجلاً متشارعاً ناقماً على الحياة ، وكفراً بالضياء
والنور والسعادة (١) حاول الانتقام من البشر الذي لم يركع امامه
واطاح به في بؤرة المنبوذين ... فكان كلما آوى إلى مخدعه جعل ينبعث
من تجاعيد دماغه هذه الافكار والنبوءات ، ولم يلتقطها من واقع المجتمع
والحياة بل كان يتتقب في الماء ، ويتصيد السمك في الهواء ، فأصبحت
أشبه بالأوهام ، منها بالمبادئ والدسائير ، وكانت قفزته الخيالية انتفاضة

(١) - تدلنا على ذلك ترجمة

عاطفية فخائية . عقبها سقوط أكثر إيمانا في الفجأة ... ولتكنه كان يعيشها جذلاً مغتبطاً ... ثم انجرف معه تلميذه وزميله أنجلز .. فتعاونا على إطلاع أفكاره . ونشر هاف الاوساط الناقلة الثائرة ، كالعمال وال فلاحين الذين هم أبعد الطبقات عن الوعي والثقافة ، فتقبلها الكثيرون ، لأرغبة فيها ، هل خشية من الانظمة التي كانت تسود ذلك اليوم ، ودرزوا نحت كابوسها طوبلا ..

وكان كارل ماركس يؤمن بأفكاره إيمانا عميقا ، وحتى دفع بإنجلز ليشر بها ، ويعلن تطبيقها ، ولكنها لم تغير من الحق شيئا . . . حتى إذا ظهر لينين على المسرح واستعاد نشاطه ، وتجمع قواه . واندفع بكل ثورة وحماس ليطبق أفكار ماركس وتبؤاته .. فإذا بها انفزرت صخرة الواقف ..

ارتجاد عن الشيوعية

فابتدر إلى نسخ النظريات الشيوعية ، وابتداع نظرية أخرى هي الاشتراكية .. وحيث كان قد ألب المجاهير حوله باسم المباديء الماركسيّة ، ورأى الناس مفرمين بتلك المباديء ، لا بما يختلفه ارتجالا

تحت ضغط الظروف والملابسات . . . وهاله ان يعلن عجزه وأهزامه من الميدان ، وفشل المبادىء الماركسية ، خشية ان يتفرق الناس من حوله ، وينتهز الفرصة « حزب النشفيك » المناوي ، لاشيوعية ، ويعود قيصر الى العرش وينكل بآذين وزبانيته شر تشكيل . . .

لهذه العوامل ، وغيرها .. حاول ان يوفق بين نظرياته والمبادىء الماركسية ، ماوسعه الامر . . . واعلن ان الشيوعية لا تنزل علينا عفوا من السماء ، وإنما يجب ان نصنعها بأيدينا عبر نضال طويل ، يجب ان نخوضه ونخوضه كل فرد رومي ... فلنستمع إليه وهو يقول : « والمجتمع الشيوعي إنما هو شيوعية في كاشي ، الارض مشتركة ، والمعامل مشتركة ، والعمل مشترك ، تلك هي الشيوعية ، فهل يمكن ان يكون همة عمل مشترك ؟ اذا كان كل امرىء يستثمر قطعة من الارض لحسابه الخاص ، ابن العمل المشترك لا ينشأ دفعه واحدة ! هذا غير ممكن ! ولا يهبط من السماء ! إنما ينبغي اكتسابه ، إنه ثمرة آلام طويلة ، ينبغي إنشائه ، وهو ينشأ في غمرة النضال (١) . »

فاعتبر نفسه في فترة الانتقال ، زاعما : استحالة القفزة الفجائية من المرحلة الرأسمالية ، الى الشيوعية ، دون ان تتخالقها المرحلة الاشتراكية

(١) - لينين مهام منظمات الشباب ط موسكو ص ٢٣

فقال : إننا يجب أن نحقق الاشتراكية لنعبد الطريق إلى الشيوعية ، وزعم
أن هذه كانت فكرة ماركس وإنجلز ، ليبرر قصوره وعجزه ، ونقل عن
إنجلز ، التصریح التالي :

« .. إذن فقد كان من المحان بصورة مطلقة ، بالنسبة الى
ماركس ، كما بالنسبة الى أن نستعمل مثل هذا التعبير المطاط ، للتغيير عن
وجهة نظرنا الخاصة لكن الامور تختلف اليوم فيمكن التساهل بقبول مثل
هذه الكلمة ، « اشتراكي ديموقراطي » ، وإن ظلت غير ملائمة لحزب
ليس برنامجه الاقتصادي اشتراكيًا بصورة عامة ، بكل بساطة ، بل شيوعيا
على وجه الدقة (١) ... »

وربما كان يلقي الذنب : ذنب عدم تطبيق الشيوعية) على تأخر
البلاد ، زاعماً أننا نقوم بشيء من التراجع في اداء مسؤوليتنا لأن تأخر
البلاد الاقتصادي ، لا يسمح لنا بتطبيق الشيوعية ، ولتكننا بهذا التراجع
نستمد نشاطاً مضاعفاً انترجع الكرة الحاسمة على رواسب الرأسمالية ،
والاشتراكية القائمة في سبيل تطبيق الشيوعية ، قائلاً : « .. إنما :
(الحزب الشيوعي والحكم السوفييفي) يقومان بشيء من التراجع ، لكي
يستطيحا حين يصبحان أحسن استعداداً ، ان يستأنفا الهجوم على الرأسالية

(١) - لينين الدولة والثورة ص ١٠٠ نقلاً عن إنجلز

إن التجارة الحرة، والرأسمالية مسموح بها اليوم ، بصورة خاصة ، وما تتطوران على أن تكونا خاصتين للترتيبات : التي تضعها الدولة . . . إن مشاريع الدولة التي حولت إلى مشاريع اشتراكية ، تبني المبدأ المسمى بمبدأ المردود التجاري ، أي إنها تعامل على أساس تجاري ، وهذه الحالة نظر لتأخر البلاد (١) .

وحيث كان يحمل هذه المسؤولية على تأخر البلاد ، حاول استنفاذ طاقات العمال وال فلاحين ، لترميم الاقتصاد ، وذاك يجعل كل فرد عضواً في الحزب الشيوعي ، ليستفرغ مواهبه وامكانياته في قشيش البناء الشيوعي دون أيما قيد أو شرط لذلك نراه يطلق هذا النداء : « . . . أمانحن فينبغي لنا أن ننظم كل الأعمال . . . بصورة يستطيع معها كل عامل وكل فلاح أن يقول : إتي عضو في هذا الجيش الكبير ، جيش العمل الحر (٢) . »

وكان أبداً يعني الناس بأنه سيقيم الشيوعية في اليوم القريب . . . فتجده مرة يقول : « . . . وساً عرف بذفسي كيف أقيم النظام الشيوعي (٣) » وأخرى كان يؤمل الناس بقيام الشيوعية بعد عشر او عشرين عاماً

(١) لينين (حول دور النقابات ومهانتها) ص ٦

(٢) و (٣) لينين (مهام منظمات الشباب) ص ٢٨

فأثلاً : « ينبع على الجيل الذي يبلغ اليوم الخامسة عشرة من العمر ، والذي سيعيش في المجتمع الشيوعي ، بعد عشر ، أو عشرين سنة ، أن ينظم دروسه . . . (١) . »

لقد انطوت حياة لينين ، وخلفه ستالين وهو الآخر أيضاً لم ينجز تطوير الاشتراكية إلى الشيوعية بل علقه على ثلاثة شروط : « فاولاً ، يجب أن يؤمن بشكل متيقن ، إنما متواصل لكل الاتصال الاجتماعي . . .

وثانياً ، يجب لتحقيق الانتقال . . . رفع الكولخوزية . . . وثالثاً ، تأمين تقدم ثقافي للمجتمع يتبع جميع أعضائه تطوير مؤهلاتهم الجسدية والفكرية تطويراً متناسقاً . . . (٢)

لقد كان لينين يهيب بالناس أن يعملوا لبناء الشيوعية ، التي ستحقق ذلك بعد عشر أو عشرين عاماً . . . وأهاب ستالين بالناس أن يعملوا لتحقيق الشروط الثلاثة ولم يختلف عن لينين وستالين سائر زعماء الشيوعية فأنهم

(١) نفس المصدر ص-٢٨

(٢) (الاتحاد السوفيافي في مائة سؤال وجواب) ص ١٣٨ - ١٤٠
نقلابعنى . ف . ستالين في كتابه (القضايا الاقتصادية الاشتراكية في الاتحاد السوفيافي)

جيمعاً كانوا يلمجون بهذه النغمة . . . ولكن واحداً منهم لم يتخط هذه الخطوة . . وإن حملوا الناس باسمها أعباء واعباء . .

ولقد انقضى عشر سنين ، وعشرون سنة . . . وبلغ الاتحاد السوفيتي العقد الخامس من عمره وانجز مكاسب وانتصارات (١) ولا يزال خروشوف يبني بقيام المجتمع الشيوعي، لتمرير السذاج البسطاء فرآه يقول : « . . . ونحن نسير نحو المجتمع الشيوعي . . . (٢) ». ويقول : « . . . وعما قريب ستأخذ هذه البلدان، شأنها شأن الاتحاد السوفيتي ، في بناء المجتمع الشيوعي . . . (٣) »

ونجد هذه التصريحات وغيرها تتميز بطابع التسويف . . . غير أن خروشوف يأبى في بعض الأحيان حتى هذا التسويف ، فهو يجد الأمور طوع يديه ، مهما كانت تصريحاته ، فلا يجد حرجاً من التعمريخ بالواقع الراهن لذلك يصرح بأن الانتقال إلى المرحلة الشيوعية جد بعيد ، فأن بعض البلاد السوفيتية لم ينتقل بعد إلى مرحلة الاشتراكية ، فكيف تسنح لها الانتقال إلى الشيوعية ؟ « كيف يجري في المستقبل تطور البلدان الاشتراكية ، نحو الشيوعية ؟ هل يمكن لنا أن نتصور وضعاً يتوصيل فيه بلد من بلدان الاشتراكية

(١) خروشوف (في الأرقام التوجيهية) ص ٧٤ ط موسكو

(٢) نفس المصدر ص ٩٧

إلى الشيوعية؟ ويطبق المباديء الشيوعية في الاتساع والتوزيع؟ بينما سائر البلدان لاتزال متأخرة جداً، عند الاطوار الأولى من بناء المجتمع الاشتراكي إن هذا الوضع قليل الاحتمال (١) .

والواقع ان الانتقال الى الشيوعية قليل الاحتمال بل غير ممكن بكل صرامة فان لينين حرف الشيوعية نحو ينما جذرها، وكون نظاماً جديداً أقامه للتطبيق، وإن اعتبره المرحلة الانتقالية كما صرخ بذلك ستالين: «أما الحقيقة كلها عن الایينية، فهي أنها لم تقتصر على بعث الماركسيّة، بل خلت فوق ذلك خطوة أخرى إلى الأمام. بتطويرها الماركسيّة في الظّروف الجديدة للرأسمالية، ولنضال البروليتاريا الطبيـقي (١) .

كل ذلك ينـتج أن الشيـوعية لم تـطبق، وإنـما ظـلت حتى الآـن حـلـماً شـروـداً، رغم المحـاولات السـيـخـية، التي اـهـدرـها الحـزـب الشـيـوعـيـ، الذي أـخـذـمـ لـأـرـادـتـهـ جـمـيعـ المـوـاهـبـ وـالـطـاقـاتـ، وـهـذـاـ أـكـبـرـ دـلـيـلـ عـلـىـ فـشـلـ هـذـاـ النـظـامـ، وـعـدـمـ صـلـاحـيـتـهـ لـتـوجـيهـ الـجـمـعـ وـتـنظـيمـهـ.

(١) نفس المصدر ص ١٦٣

(١) ستالين (أسس الایينية) ص ٢

ینتھاً مأهولون

وعلى اعقاب ذلك يستلون : ولكن هل يعتبر عدم تطبيق النظام الشيوعي عيبا في النظام نفسه ؟ أم يعتبر عيبا في أولئك الذين لم يطبقوه ؟ .

والجواب : أن عدم تطبيق نظام من الانظمة حينما يكون بسبب جبن أنصاره ، أو عدم إخلاصهم لمبدئهم ؛ فان ذلك العيب يكون راجعا إلى القادة ، ومن الظلم أن يحمل على النظام جريمة اقترفها أصحابه المسؤولون !!

أما لو كان عدم تطبيق ذلك النظام ناشئا عن استعصائه ، وعدم تطويقه ل الواقع : ومصادمته للفطرة ؛ ومناقضته لمواهيس الاشياء . فلاشك أن ذلك يكون نقصا في النظام .

والواقع أنا لا نستطيع أن نتهم قادة الشيوعية ، من لدن ماركس إلى خروشوف ، بعدم الاخلاص لمبدئهم ، أو العمل على عرقلة النظام الشيوعي والحايلولة دون تطبيقه . . وبالرغم من محاولااتهم الصادقة بقيت الشيوعية بمعزل عن واقع الحياة . لاستعصائها على التطبيق ، ومناوئتها لفطرة الاشياء وهي التي اورثت جهادهم هنا الفشل الذريع .

أخطاء الشيوعية

ليست في حاجة إلى تعداد أخطاء الشيوعية : فان الشيوعية كلها مجموعة أخطاء، وأغلاط . . . ولا نجد بذلك من بنودها بريئاً من الطيش والتناقض . فان مباديء الشيوعية ، لا تعدو الأفكار التالية :

- ١ - فطرة الإنسان مجردة عن الميول ، والغرائز ، والاستئثار . . .
- ٢ - اختلفت على البشرية المراحل الخمسة التاريخية . الشيوعية الأولى الرق ، الاقطاع ، الرأسمالية ، الشيوعية الثانية . . .
- ٣ - ولا بد من : استيلاء البروليتاريا على الحكم .
- ٤ - القضاء على رأس المال ، والربح الناتج منه .
- ٥ - القضاء على الملكية الفردية .
- ٦ - القضاء على العائلة .
- ٧ - تأميم وسائل الإنتاج .
- ٨ - القضاء على الطبقات .
- ٩ - الغاء الدين ، والأخلاق ، وتحطيم سائر القوانين السائدة .
- ١٠ - جعل العمل إجبارياً للجميع .
- ١١ - توزيع البضائع حسب الحاجات ، ورفع الأسواق والنقود .

١٢ - القضاء على الدولة .

تجربة اللسان من الميل

فاما اعتبار الانسان مجردأ من الميل المتصلة في طبيعته ، فهو خطأ
تفصله الفلسفة الديالكتيكية ذاتها .

فإن « دارون » و « فرويد » اللذان نشرا بدور الديالكتيك ،
يقرران في الحيوان ، كما في الانسان ، الغرائز الجامحة ، والميل الشره ،
ويفسران جميع مظاهر الانسانيات والديانات بها ، ويعرفانها ببعث الطواهر
البشرية كلها . وهذا التفسير الجنسي للسلوك البشري ، ليس تفسير
للسلوك الفردي وحده ، وإنما هو كذلك . محور الحياة الاجتماعية . منذ بدء
التاريخ البشري حتى اليوم .

كان دارون قد قال : « في عالم البقر تنطلق الثيران الفتية الشابة
تريد أن تزو على أمها . فتنمها سيطرة الاب . السيطر على القطيع . فتنشب
معركة حامية . بين الثيران الفتية . والاب الشيخ . يتقتل فيها الأبناء ضد أبائهم
حتى يقتلوه . ثم يقتلون فيما بينهم . كل منهم يريد أن يستخلص الام لنفسه
فيموت الضعاف في المعركة . أو ينزعزوا . ويبقى ثور واحد يستولى على الأُم
ويصبح هو قائد القطيع . »

وجاء فرويد ينقل عن دارون هذه الاسطورة القدرة . غير أنه نقلها (أيضاً) من عالم الحيوان الى عالم الإنسان . فقل : « حدث في البشرية الأولى . يحدث في عالم البقر أحس الا بناء برغبة جنسية نحو أمهم التي ولدتهم ولكن سطوة الأب كانت تمنعهم من هذه الشهوة الآثمة . فتآمر الاولاد على قتل ابيهم . ليتخلصوا من سطوه . ويستأثروا بأمهـمـمـ . واستيقظت الارض ذات صباح على صيحات مجنونة . وصرخة مرودة : لقد نفذ الاولاد ماتآمرـواـعـلـيهـ . »

ويذهب فرويد الى حيث يدعى : ان الجنس هو كاشـيـءـ . وكلاشـيـهـ
نابع من الجنس . . فيقول : « الطفل يرضم ثدي أمه بلذة جنسية ويتبول
ويتبرز بلذة جنسية . ويحرك عضلاته بلذة جنسية . . . ويرتبط بأمه بشعور
جنسـيـ . « كما ترتبط الطفولة الا تـىـ بـاـبـيـهــاـ بـشـعـورـ جـنـسـيـ » . »

لسنا بـصـدـدـ مناقشـةـ هذا الهراء الفارغـ مناقشـةـ موضوعـةـ ولـكـنـاـ
نـسـتـخـلـصـ منـ ذـلـكـ كـلـهـ : انـ المـادـيـةـ الـدـيـالـيـكـيـةـ تـؤـكـدـ : أـنـ الفـطـرـةـ الـبـشـرـةـ
الـاـصـلـيـةـ مـخـتـمـرـةـ بـالـوـانـ مـنـ الـيـوـلـ الـعـاطـفـيـةـ وـالـفـرـائـزـ الـجـنـسـيـةـ . وـالـاسـتـبـادـ
وـالـاسـتـئـشـارـ . . إـذـنـ فـكـيـفـ يـمـكـنـ استـخـلـاصـ الـإـنـسـانـ مـنـ نـزـوـاتـهاـ الطـائـشـةـ
دونـ أـيـمـاـكـبـتـ دـاخـلـيـ . اوـ خـارـجـيـ ؟ ؟

فـاذـنـ اـنـ هـارـتـ الدـاعـمـةـ الـاـولـىـ ، مـنـ دـعـائـمـ الشـيـوـعـيـةـ ، القـائـلةـ : بـاـنـ

الأنسان بطبيعته الأولية مجرد عن الميول والغرائز ، والبيئة هي التي تفرضها عليه ، ويمكن تجريد الإنسان منها بتبدل البرامج الاجتماعية ، وتعقيم البيئة منها !

مداخل التأريخ

تركتز الفكرة الشيوعية - في المرحلة الثانية - على مبدأ دارون القائل : بالتطور الطبيعي الحتمي للبشرية في كل شيء . . . وهي كما تنتقل من الصيد إلى الرعي ، الزراعة ، إلى الصناعة . . . وتطور من الخراقة ، إلى التدين ، إلى العلم . . . كذلك تنتقل من الشيوعية ، إلى الرق ، إلى الأقطاع ، إلى الرأسمالية . إلى الشيوعية . . .

وهذه الفكرة مغلوطة ، بالغة في الغلط . . .

فأولاً : من ذا يقول : إن البشرية مررت بهذه المراحل ؟ وأي تاريخ يسجل : أن الإنسانية الأولى كانت شيوعية ؟ وحقا ، إن من السخف أن يدعى المرء مثل هذا الادعاء الطائش ، الذي لا يعتمد على أي مدرك أو دليل . . . ثانياً ، إن المصادر التي تروي لنا أخبار البشرية الأولى ، لا تهدو الكتب السماوية ، وأحاديث الأنبياء ، والأئمة عليهم السلام . وهي جميا تؤكد : أن البشرية الأولى لم تكن شيوعية ، وأن أول بشر وجد على سطح

الْأَرْضُ، وَابْوُ الْأَنْسَانِ . «آدَمٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَبِيًّا، وَذُرِّيَّتِهِ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، كَمِّ الْآنِ مُؤْمِنُونَ وَكَافِرُونَ . . .

فاذن أين وجدت الشيوعية الاولى؟ أكثر الظن أن الشيوعية الاولى تكونت ، وعاشت ، وماتت ، في خيال دارون وزبانيته وأذنابه . . . كما ان الشيوعية الثانية لم توجد إلا في اوهام ماركس، وإنجلز، ولينين، وعملائه . ثالثاً ، إن القول بالمراحل المتعاقبة للبشرية : الرق ، ثم الانقطاع ، ثم الرأسمالية ، خطأ مفوضح ، فان التواريخ تحدثنَا : أنها لم تكن مراحل متتالية ، بل كانت ظواهر متقارنة لفساد الاجتماع ، فكان بعدم الرق ، والانقطاع ، والرأسمالية ، في المناطق الخاصة للاديان الصحيحة ، كما كانت توجد ثلاثتها بمجرد انتلاقها من حدود الاديان . . .

وحتى قبل نصف قرن كانت الرأسمالية تعيش إلى جانب الرق والانقطاع ، واليوم نجد الرأسمالية والانقطاع معا إلى جانب أسلوب متتطور من الرق ، يلائم القرن العشرين ، هو استعباد المستعمرين لمستعمراتهم ! فتلخيص من ذلك كله : ان تفسير التاريخ بهذه المراحل الحمسة كذوبة من تجارة ثانية !

حكمة البروليتاريا

أول ماتتجزءه الشيوعية، استيلاء البروليتاريا : (الطبقة العاملة على الحكم ، وهو الركيزة الثالثة في الفكر الشيوعية . . . وهو خطأ لـ :
١ - أن توجيه الاجماع ، وإدارة السياسة الداخلية والخارجية ، وتنظيم الاقتصاد ، والثقافة ، والشرطة ، والجيش . . . يتطلب من يدآ من الوعي . والمواهب . والتجارب . والعمال أبعد طبقة عن السكفاءات والامكانات . والطاقات الفكرية الخلاقة الكفالة لتولى دفة الحكم بيقظة وحكمة أناة . . فهل من الصحيح تفويض مصير الملايين إلى طبقة لم تؤت نصيبها من الوعي الاجتماعي . والتنظيم السياسي . بعذر : أنهم كانوا مضطهدين أو انهم يكذبون أكثر من آية طبقة أخرى ! ؟ ؟

ب - صحيح أن العمال يقومون بدور هام في الانتاج . وفي خدمة الاجماع . ويبذلون من الجهد ما يستحق التقدير . ولكن مجرد قيامهم بالعمل لا يعني أن الطبقة المختارة المفضلة على سواها . فالاجماع يحتاج الى جهد تعاوني مشترك منظم . يقوم به العمال . والمهندسوں . والمفكروں . والمتکرروں . والجیش . والشرطة . والمدراء . والعلمون . والطلاب . والكتاب . . . على حد سواء ، كشرط كاہ في تنظيم الاجماع ، وضمان توفير الرخان ، والحیلولة

دون طغيان إنسان على إنسان. فالعمال يساهمون بالجهد البدني كما غيره يساهم في الجهد الفكري . أو البدني أيضاً .

وبعد ذلك فلابد من مبرر لتفضيل العامل ؛ على من يؤدي مسؤوليته الاجتماعية، بحجة أن العامل نواة المجتمع . فالمدير - كذلك - نواة المجتمع لولاه اشاع الفوضى . وسحق العامل وإنتاجه . كما لا يوجد ما يدعو إلى القول بأن العامل يعيش بحق لأنّه يأكل إنتاج نفسه . والآخرون متظفلون على العامل لأنّهم يأكلون إنتاجه . وفي وسعنا القول بأن الجندي يحيى بحق لأنّه يحمي نفسه ، والعامل متظفل على الجندي لأنّه يتغذى ظلاله . ولو لاه لما استساغ الحياة . . . وكذلك سائر الأفراد الذين يقومون بخدمة إجتماعية !! فكل فرد يبذل جهوده أن ينجزه سواء تمثل هذا الجهد في الطاقة البدنية او الذهنية . او في الطاقة الميكانيكية . التي توفرها الآلات نيابة عن أصحابها . !

ج - ثم لو أمعننا في الصدق نظرية لزوم دكتاتورية البروليتاريا هل أن جميع العمال يتصدرون الناصب ، أم بعضهم دون بعض ؟ لا يمكن رفع جميع العمال إلى الحكم . لأن الدوائر تتضيق بهم . فلا بد من تفضيل بعضهم على بعض . وذلك لأمبري له . . .

ثم لو رفعوا العمال إلى الحكم فلنذا يقوم باداء مسؤوليتهم في الإنتاج ؟ ومن هم المعينون بكلام ماركس : « إذ أن الصناعة الكبرى تهدم كل صلة

عائليّة عند البروليتاريا . وتحول الأولاد إلى مواد تجارية بسيطة وادوات عمل صرفة (١) ؟ الا يشمل ذلك أولاد العمال ؟ إذن فالعمال يتحولون إلى مواد تجارية بسيطة . وأدوات عمل صرفة . ولا يرفعون إلى المناصب . أما دفة الحكم . فيوليهما غيرهم .

فالنتيجة المخيبة : أن « حكومة البروليتاريا » سراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جانه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه .

الدكتاتورية

وتعارض نظرية « دكتاتورية البروليتاريا » مع الحريات العامة . التي ينبغي أن تتوافر للمحكومين . فالدكتاتورية فكرة لثيمة . منها اختلفت اشكالها والوانها . ولا يشفع لها أن تكون دكتاتورية البروليتاريا . لأنها تكشف عن عدم تطوع الشعب لتلك الحكومة . سواء أكانت تلك حكومة العمال أو البيوغراطيين أو الاستقراطيين أو الارستقراطيين أو الرأسماليين والحكومة الشعبية أبداً نيسـت بـحاجـةـ في تنفيـذـ بـرامـجـهاـ إلى التـوـسلـ بالـدـكتـاتـوريـةـ ، والـقـسوـةـ وـالـاضـطـهـادـ ، وـأـنـماـ تـوـسـلـ بـهـاـ الحـكـومـاتـ الـاجـنبـيةـ عنـ رـوـحـ الشـعـبـ ، التيـ تـفـرـضـ عـلـيـهـ سـلـطـاتـ غـرـيـةـ عـنـ حاجـاتـهـ وـاهـدافـهـ ،

(١) البيان الشيوعي ص ٤٨

فالتجاه الحكومة الشيوعية الى الدكتاتورية تم عن أنها ليست حكومة من الشعب وللشعب ، واما هي حكومة ضد الشعب و رغم الشعب . . .
فلا بد إذن من إلغاء الدكتاتورية ، واستبدالها بالحرية . ١١

رأس المال وربح

يحسب الشيوعيين : أن رأس المال والربح الناتج منه ، يلازم
أبدا - الاستغلال ، والاحتكار ، والربا . . وبالتألي تكوين الطبقات
المتعاكسة . . ولا يفهون أن تلك نتائج رأس المال المطلق أما رأس المال
والربح الناتج منه المحددان ، فلا ينتجان شيئا من تلك السيئات . . .

بمقتضى هاته الفكرة الضئيلة يحكم الشيوعيون بوجوب القضاء على
رأس المال والربح الناتج منه . في حين ان رأس المال والربح الناتج منه ،
من العوامل الاساسية في توفير الانتاج ، وتحسينه وتوزيعه
أما ضرورة وجود رأس المال فـ :

١ - أن دفع اجور العمال المستخدمين ، والمتكررين ، والمدراء
أمر واجب الاداء في الوقت المعلوم ، ولا يحتمل التسويف والانتظار الى أن
يتم إخراج السلعة وتسويتها ، وذلك لا يكون إلا مع وجود رأس المال .
ولا يمكن أن يأخذ العمال المستخدمون كميات متكافئة من نفس

السلعة التي ينتجونها ، لأن حاجاتهم لا تختصر في سلعة معينة وإنما تحدو بهم إلى ألوان شتى من السلع والخدمات . . . لذلك لابد لهم من الأجر والكافئات النقدية ، ولا بد للأجر والكافئات النقدية من رأس المال !

ب - أن رأس المال هو الذي تهياً به المعامل والمصانع ، وتشتري به آلات التي لابد منها في توفير الانتاج وتحسينه وتحقيق قسوة العمل ... كما انه لابد من رأس المال في شراء الخامات ، واستخراجها من المناجم . .

ج - وبدون رأس المال ، لا يمكن ضمان استمرار الانتاج - سيما في الأزمات الاقتصادية - فصاحب رأس المال يغامر بثرواته ، لأنها يدفعها وهو يعلم أنها لا تترجم إليه إلا بعد انتاج السلعة وبيعها ، وهذه مغامرة بالنسبة إلى من لا يعرف مدى ما سيصيب سلعته من رواج أو بوار . . كأن صاحب رأس المال ربما يضطر إلى التضحية بشطر من أمواله في سبيل تحسين الانتاج إذ انتج الرأسمالي الآخر سلعة أروع واباعها بأبخس ثمن - تبعاً لعوامل قد تحدث في الاقتصاد - فيضطر كل من التجار إلى تحسين سلعته وبيعها بشمن زهيد ، تحت ضغط التفافس الحر . . وذلك لا يكون إلا بوجود رأس المال .. نعم لابد من تحديد رأس المال ، كي لا يطغى ويفسد أكثر مما ينتجو يصلح !!

* * *

وأما ضرورة وجود الربح الناتج من رأس المال . فلو لأه لم يقدم أحد

خانہ مارکس

ولـكن ماركس حيث لا يؤمن بملكية الربح الفائض عن رأس المال
يتساءل :

«كيف يقدر مال ما ان يربح ، ويصبح اكثرا من نفسه ؟ إنما الانجذب في المنتوج إلا ما يساوي المال المدفوع للعامل ، وقيمة العمل - أي القيمة الذاتية للمنتوج - ونها كل الآلات .. فمن اين آتى للربح ؟ ا كانت هناك قوة سحرية تجعل رأس المال اكثرا من هذه القيم ؟» ثم يفسر هذه الظاهرة بأن الرأسالي إنما يكسب الفرق بين الأجر الذي يعطيه للعامل ، والقيمة الحقيقية للمنتوج ، أي إن الربح يأتي على حساب نفع العامل ، ومن وراءه الضرار بحقه ، وإذن فالربح لصوصية ظالمة ، ينبغي القضاء عليها.

إن ماركس يعدد سعر الخاتمة ، واجر العامل ، ونفقات العمل فيرى أن الواجب ان تباع البضاعة بنفس الثمن - مثلا - إذا كان ثمن الخاتمة

٤ فرشاً ، واجر العامل ١ فرشاً ، والنفقات الأخرى ١ فرشاً فالمجموع = ٤
قروش ٠٠ فلو باعها صاحب رأس المال بـ ٥ قروش، يرى ماركس : ان هذا
القرش الخامس زائدًا فيتفلسف له ، من اين اتى ؟ ينتهي الى ان اجر
العامل لم يكن فرشاً واحداً ، وإنما كان قرشين ، وحيث دفع صاحب
رأس المال للعامل فرشاً واحداً ، فهو اذن سرق منه القرش الآخر ، الذي
استأثر به . . مع ان هذا خطأ مفوضح !

لان صاحب رأس المال يعمل ايضاً ، غير ان عمله ليس عملاً يدوياً
ولست ادرى كيف ان المهندس يستحق الأجرور ؟
والمدير يستحق المكافأة ؟ أما صاحب رأس المال - الذي هو بمنزلة المدير
العام في بعض الاحيان ، وبمنزلة المهندس والمدير في بعض الاحيان -
لأ يستحق شيئاً ، حتى اذا وفر لنفسه قسماً من سعر البضاعة يعتبر
اصحًا ؟

والواقع ان صاحب رأس المال لا يقل عن المدير ، فلا يعتبر لصالحه
استوفى نصيبيه ، كما ان المدير والمهندس ، والعامل كذلك ، فكما أن البضاعة
لاتخرج من دون عمل العامل ، كذلك لا يمكن الانساج من دون تنظيم
وتوجيه صاحب رأس المال ...

وفي نفس الوقت نعرف بلزم ان لا يغالي صاحب رأس المال في

تحديد الاسعار ، كي لا ينال أكثر من نصيه الشرعي .

اما كيف يسمح لاصحاب الشركات العالمية ، ان يستوفوا الارباح السخية ، لعدة كلمات يلتفظون بها كل يوم في لاقطة التلفون ؟ فمثلهم مثل الوزراء ، الذين يحتكرون المناصب الخطيرة ، وراتبهم - على أيعال - أكثر من راتب موظف بسيط ، مع ان عملهم اليومي أقل بكثير من عمل ذلك الموظف ... وهذا حق ، لأن نوع العمل يختلف ، وتبعاً لذلك تختلف كية الأجور ، لأن للعمل الخطير مسؤولية خطيرة . والقيام بالمسؤولية الخطيرة ربما يستتبع خسارة جسيمة ، فلا بد ان يكون في الطرف المقابل منفعة راجحة حتى ينهض فرد من الطامعين بهبها ...

فاذن لا بد من تقرير مشروعية رأس المال ، والربح الناتج منه ... والشيوعية لانقضى على رأس المال قضاها تماماً ، وإنما تحوّلها من أيدي الى ايدي ، وسنبحث عن ذلك تحت عنوان « التأمين » (١)

المملكيّة الفردية

إن حرية الفرد في اختيار العمل الذي يروقه ، وتوهله له ملكته

(١) - لقد اسهبنا في الرد على هذه المادة من النظام الشيوعي لأنني لم أجده من الجائز الواقع حقه !

ومواهبه ... وحربيته في أن يرصد لنفسه ريع إنتاجه ومكاسبه ... لأن الحرية ، - لا القيد والاستعباد - هي التي تفسح المجال للتنافس الحر والمعي نحو الكمال ، وانطلاق طاقة الابتكار ، فحين توفر الحرية للأفراد ، بطريقة عادلة ، عمادها « تكافؤ الفرص » يشعر الأفراد بما لديهم من كرامة ، كما يجعلهم يكيفون حيالهم كمابيدون ، فيتقدموه إلى الامام ، يوسعون البحث عن وسائل جديدة لتنفيذ وتحقيق ما يريدون . والنظام الذي يكفل الحرية الفردية ، أقدر على استفادة موارد البشر والطبيعة . فالرغبة الجامحة المنبعثة من المنافع الشخصية ، هي التي تثير في الإنسان طاقة الابداع والاختراع وتتيح للأفراد حق زيادة الدخل بالوسائل المشروعة ، وتؤدي إلى انتشار الرخاء ...

على حين ان مصادرة الحريات ، تجعل من الأفراد آلات آدمية وتنشر نوعا من السخرة الاقتصادية ، فيحيث تحدد الدولة مقررات الأفراد والسيطرة على الانتاج ، تعدد التنافس ، وتفتت الابتكار ، وتنجز النشاط والتغافل في الإنسان ، فيضعف تدفق الانتاج ، وبراعته وتحد سير التقدم الاقتصادي في المباريات الاقتصادية العامة ...

فاذن لا بد من الملكية الفردية . وإلا انماض الاقتصاد الوطني ،
والدخل الاهلي .

القضاء على العائلة

من أسف ما في النظام الشيوعي ، فأنهم يحاولون القضاء على العائلة لطلاق الشهوة الجنسية ، والارتواء الجنسي الفاجر ، وذلك هدف جذاب ، بالقياس الى ما يستتبعه من خسائر فادحة على الاقتصاد والمجتمع نذكر منها ما يلي :

١ - أن رئيس العائلة : الرجل والمرأة ، يقومان بجميع الاعمال البيتية ، وهذه الاعمال كثيرة باهضة جداً ، ولكن الرغبة العاطفية نحو العائلة تحفز الرجل والرأتة الى انجاز هذه الاعمال ، وتتنسها الاتعاب والمصاعب ، حتى لو لم تكن هناك عائلة ، لم يتم أحد بسيطرة من تلك الواجبات فرجل العائلة يؤدي - على الأقل - ضعف ما يؤديه رجل الفرد ٠٠٠ ولو ألغيت العوائل فاضت الاعمال عن معدل العمال ٠٠ لأن رب الاسرة ينهض بأعبائها خارج ٨ ساعات العمل المرسوم ، فإذا تحطم العائلة ، أصبحت التكاليف المترتبة داخل برنامجه ٨ ساعات العمل ٠٠

٢ - أن حضانة الأطفال ، وتربيتهم ، وتشتتهم ، مما يقوم به رجل وامرأة ، ويظمنان إشباع جميع حاجاتهم الاقتصادية ، والاجتماعية والنفسية ، أما لو بترت العائلة ، كان على الدولة ان تخصص كميات كبيرة

من الاموال ، والموظفين والعمال والمستخدمين والنساء . . . للقيام بذلك الحاجات ، التي تصبح اجتماعية ، بعدما كانت فردية . . .

ان الاحصاءات المتكررة في اكثر البلاد الراقية ، أعلنت : ان غالبية اصحاب الملاجيء ينشاون فليبي الذكاء والموهبة ، بينما الروتين السائد على الاعمال العامة . فتموت العبرية في نفوسهم الرشيقه ، وتتحجر عواطفهم البضة ، بينما نجوا اطفال البيوت ينشاون متوفري الملكات والامكانات لأنهم ينالون من حضانة الام ومرؤتها وحنانها ، الكمية المعينة من العناء النسجمة مع نداءات فطرتهم ، التي تعلمتها جرس البكاء ، ويحدد لها الاعراض وبها كان نظام الملاجيء ، فإنه لا يبلغ حنان الام .

فلا بد ان من الابقاء على العائلة ، حرصا على نواميس الاجتماع . . .

التأمين

ماعسى أن تفعله الشيوعية ، باحتكارها مصادر الانتاج ، وتأمين الملكيات ؟ أتريد القضاء على البرجوازية والرأسمالية ؟ أم ت يريد سلب ثروات الشعب ؟ . . .

والواقع ان النظام الشيوعي ، لم يحاول القضاء على البرجوازية والرأسمالية ، وإن هتف المغفلون بذلك !! فقبل الشيوعية كانت ثروات

البلاد تحت أيدي افراد الشعب ، غير ان التوزيع كان جائراً ، لذلك انقسم المجتمع الى ثلاثة طبقات متباينة ، الرأسمالية ، البرجوازية ، الطبقة العاملة والفقراء . وجاءت الشيوعية فسلبت مجموع الثروات من افراد الشعب وحوّلتها الى قاصات الدولة ، فأصبح الشعب كله فقراء ، واصبحت الدولة رأسمالية جباره .

فاذن الشيوعية لم تقض على رأس المال ، وإنما وجدته في ايدي الشعب فانزعته بالشدة والعنف ، واستأثرت به ، فكانت النتيجة أن ظهر رأس المال في أقسى مظاهره ، عبر التاريخ والقرون ، لأن الزمان لم يشهد رجلاً واحداً يقبض على مجموعة ثروات عشرات الملايين من البشر حتى أن «فرعون» و«قارون» و«نيرون» و«هولاكو» و«چنكيز» وسائر المردة والطواحيت لم يبلغوا ما يبلغه رئيس الحكومة الشيوعية ..

فاذن لا يصح مصادرة رأس المال ، وتأييده ، لأنه يبقى رأس المال وإنما يتحوال من ايدي الى ايدي ، ويصبح أقسى مما كان عليه في اي نظام آخر ..

الطبقات

إن النظرية الشيوعية تقسم المجتمع أبداً، إلى طبقة عاملة كادحة هي البروليتاريا، وطبقة مستغلة مستثمرة متطفلة على المجتمع هي : البروجوازيون والرأسماليون، ويختلفون - على صعيد الورق - الصراع الدائب العاصف بين هاتين الطبقتين . . وهذا النوع من التقسيم لطوابئ المجتمع ينطوي على مغالطة مقصودة ، ف مجرد وجود جماعة من المفكرين ، وجماعة من العمال ، وجماعة من الموظفين ، وجماعة من الضباط والعسكريين ، وجماعة من أصحاب رؤوس الأموال في أي مجتمع من المجتمعات .. لا يعني بالضرورة : أن هذا المجتمع موزع إلى طبقات متباعدة متصارعة . .

كما أن قيام العمال بالعمل ، وبذل الجهد البدني ، لا يجعل منهم طبقة قائمة بذاتها ، مستغنية عن سائر الطبقات . . . ومجرد استخدام أصحاب رؤس الأموال لأموالهم في الانتاج ، لا يلزم الاستغلال والتطفيل . . فالعامل يملك طاقة بدنية ، والمهندس يملك طاقة فكرية ، وصاحب رأس المال يملك طاقة مالية ، فإذا مأتماونا على الانتاج يجب أن يوزع الفائض بينهم ، ولكن يجب - أيضاً - أن يكون التوزيع عادلاً ، ليinal كل مكافأته الكاملة ، كي لا تبعد الشقة بين الطبقات ، ولا ينشب الصراع بينها ويلغي

تألب الطبقات ضد بعضها البعض فإذا نال كل منجزات جهوده ، او أرباح طاقاته ومواربه ، فاي شيء يدعو لتحطيم الطبقات ، وتسويتها في طبقة موحدة ، هي طبقة الكادحين ?? وأنى ينشب الصراع والتناقض ؟

* * *

ان الاعمال التي تبني كيان المجتمع ، قد تكون فكرية ، وآخرى تكون جسدية ، ويتقسم كل منها الى العمل البسيط . والعمل القاسي المستعصي . . وتبعاً لاختلافه الاعمال سهولة وصعوبة ، تختلف اجرورها وإلا لما تطوع أي فرد للقيام بالاعمال القاسية ، وآثروا النهوض بالأعمال الميسنة البسيطة . . وباختلاف الاجور تلك ، تكون الطبقات ...
ذلك هي الفلسفة الطبيعية لتكون الطبقات !! . فإذا تريد ان

تفعله الشيوعية ؟

هل تحاول ان تجعل الاعمال المتباينة - كلها - في مستوى واحد - تكوينا - من حيث الارهاق المعرفي والجسدي ؟ وهذا محال ! لأن الاعمال مختلفة ، شائت الشيوعية ، أم لم تشا .

ام هل تريد ان تعتبر الاعمال المختلفة في مستوى واحد ، وتبين عليها كميات متساوية من الاجور والتقدير ؟ وهذا جحود للفضيلة ، وانكار للجميل . . فان تسوية رئيس الحكومة ، بكتابه البلدي ، من حيث التقدير

والاجور ، كفر بالحق وظلم ، وجفاه ٠٠٠ ومتى كان ذلك فسوف ينكل
الجميع عن تحمل المسؤوليات الخطيرة ، ويتوانوا إلا عن البسيط الحقير منها ٠٠
أو تبني الشيوعية ، ان رفع الناس جميا الى ارفع مستوى من
الثقافة الوعائية ، ثم يدعهم يزاولوا الزراعة والصناعة وينظموا بأنفسهم
تنظيما مثاليا ؟ ان كان ذلك فستتحدث عن مثالية هذه الفكرة تحت عنوان
« إلغاء الدولة » ٠

فلا مناص إذن ، من اقرار الطبقات ، غير أنه يجب تعدلها ،
واعمل لتكوين مجتمع متقارب الطبقات ، العائمة على اساس الاواب
والاعمال ٠٠

الاديان والاخلاق

ليست الاديان والاخلاق سلعة راجحة في الفبر ، ويوم القيمة ، وبين
الجنة والنار فقط ولكنها فواين هبطت من السماء لتنظيم الارض ،
وتنسجم مع طبيعة الانسان . إن سعادتك قياما عميقا ٠٠٠ ولقد لمحها ماركس
أمامه سداً راسخا شامخا يكسر نبض التيار منها كان قويًا جارفا ، فوجه اليها
حملة ظالمة مسلحة ليزيمها عن الطريق حتى يمكنه تطبيق نظامه الكافر ...
ولقد فقد لينين مخططاته القدرة ، ومؤامرات ضد الحق والبشر .

ولتكنه ذات الامرين ، كرذ فعل طيفي لالغاء الاديان والاخلاق ، لأن
الاديان والاخلاق هي التي تعمم البشرية ، دون اقتراف الجرائم
واحداث الفساد الشامل ، والفوضى العارمة ، واغتيال الحقوق والاموال
والنفوس .. فاذا تعرى الانسان من الاديان والاخلاق ، وعرف ان مدى
نجاهه في الحياة إنما يقدر بقياس المنافع الشخصية ، فأي شيء يمحجزه عن
التوصل الى هدفه - مهما كان رخيصا - حتى ولو تطلب سحق مئات الالوف

من البريء ؟

ان المحاكم والشهادات ، وجميع الدوائر والادارات .. إنما تلتزم
بوظائفها ، لو عرفت نفسها تحت رقابة دقيقة من الدين والاخلاق ، وسوف
تنعرف عن مناهجها - لو لم تؤمن بالدين والاخلاق - حتى ولو كان عليها
الفرقين ورقيب ..

إن في بلادنا التي لا زالت تنسم بطابع الدين نجد المحاكم والشهدود
والرقباء ، يحكمون بالباطل إزاء دراهم معدودة ، مع ان في بلادنا لا يزال
اسم الحرية باقيا ويمكن الاستئناف ، أو توجيه الدعوى الى المحاكم
والشاهد والرقيب ، فكيف يمكن الامر في البلاد التي تسودها لدكتاتورية
المطلقة ، من قبل فئة معينة ، تحكم بالشبيهة ، وقتل بالتهمة ، ولا هدف
لها إلا إنجاز مصالحها وأغراضها ، ونحن لا نطلق تلك جزاها وإنما نستلم بها

من الانباء التي تخترق الستار الحديدي بين الفينة والفينه !!

وقد خصصت الحكومة السوفياتية - في الوقت الحاضر - لاعيون
والابو ليس السري ودوائر الامن ، الميزانية ، اكثر بكثير مما ارصده
لتأمين الاقتصاد الوطني ، واسباع حاجات مجموع الشعب ... ولقد كانت
الحكومة الاسلامية تبعث رجالا واحدا - بصفة - : « الوالي » لتنظيم لواء
كامل ، فكان وحده ينهض بذلك العبُّ الفادح ، دون ان يحتاج الى
معاون ، او أمن ... ومتى قايسنا هذا بذلك عرفنا مدى الخسارة التي
تعملتها الشيوعية بالعائمه للاديان والاخلاق !!!

* * *

اما تحطيم القوانين السائدة ، هو الثاني الذي يتوصل الشيوعيون له
بشتى الوسائل والحيل ، وهو حتى لو كان هناك نظام خير منها ، واريد
استبدالها به ، لأن جميع هذه القوانين السائدة ، فاسدة غاشمة ، ولا ماء
في ذلك ولكن الحق ان الشيوعي اطفى واقسى منها فلا يصح سحقها ،
لتطبيق النظام الشيوعي ، فبعض الشر أهون من بعض !

فاذن لا بد من البقاء على الاديان والاخلاق ، وتشجيعها
وتمييذها كما لا يصح استبدال القوانين السائدة بالنظام الشيوعي ..

الفقرة والعنف

تعتمد الشيوعية ، في مكافحة الأديان والأخلاق ، والبورجوازية والرأسمالية ، وتحطيم السلطات والقوانين السائدة على الانقلاب الثوري عن طريق القوة والعنف ، رغم ما تنتوي عليه هذه النظرية الموجاه من مجافاة لما فطرت عليه الإنسانية ، من التزعة السلمية ، والرغبة عن الظلم والاضطهاد ، ومعادة المبادىء التي تحرض على القتل ونشر الفوضى ، والولوغ في الدماء ، والاستهتار بالأرواح والكرامات ، والتشل والقادبر ..

ومن طبيعة النظم التي تفرض نفسها عن طريق القوة والعنف ، والثورات الدامية ، أنها الأردد في الالتجاء إلى نفس الوسائل ، في اخضاع المواطنين لرادتها ، واستغلالها الاقتصادي ، الاجتماعي ، السياسي ، والواقع أن الشيوعية التي تشجع الانقلابات الدامية في الحياة الفكرية ، والاجتماعية والسياسية ، ترتكب أقسى جريمة مرونة في حق الشعوب التي تقع تحت سيطرتها . لأن الثورات الدامية أبداً تصجمها جرائم نكراء ، أهونها إحداث الحروب الداخلية ، ثم المجازر الرهيبة .. عن طريق تأليب الطبقات على بعضها البعض ، وشل الاقتصاد والانتاج ،

والتضحيّة بالحرّيات العامة ، واهدار الحقوق والكرامات ... في سبيل تمكين فئة معينة من القبض على زمام السلطة ، ولا بد ان تشر هذه الوسائل حكومة دكتاتورية بخفة قاسية ، لا تؤمن بالشعوب ومصالحها ... وبالفعل حدثت هذه النتائج الوخيمة على اثر الانقلاب الشيوعي في روسيا بشاعة وقسوة خياليتين !!!

فلا بد إذن من حذف الانقلاب الثوري ، والقوة والعنف عن قائمة المباديء ، وإلا أتتنيت الانقلاب الثوري والقوة والعنف فالبر يشر البر ، والشوك يولد الشوك ..

إجبارية العمل

لماذا يكون العمل إجباريا ، إن كانت الشيوعية لا تقاض العمال من قسوة البورجوازية والرأسمالية ، وكيف تكون مصادرة حرّيات العمال وإجبارهم على العمل ، لو كانت الشيوعية حكومة العمال ؟

ان ماركس كان يصب اهتماده على الرأسماليين والبورجوازيين لأنهم كانوا يستعبدون العمال (١) فهل هناك استعباد أقسى من اجبارهم على العمل ، وسلبياتهم كافة الحرّيات والضمانات القانونية ؟ ان الرأسمالية - رغم علامها - كانت تقرر حرية العمل والعامل ، وكانت تعرف بحرية العامل

في أن يعمل أو لا يعمل ، وبما شئ مكافحة هذا النظام تكونت الشيوعية ،
فإذا بها تقرر إجبارية العمل .

عمل النساء والأطفال

كما أن الشيوعية تسوى بين الرجال والنساء والأطفال ، في إجبارية العمل ، ولم تفلت من حوزها الخشناه ، لا النساء ولا الأطفال !! ولقد أسلفنا (١) تباكى ماركس وصرخاته المسعورة الكاذبة ضد الرأسمالية لأنها سلطت عصاها على النساء والأطفال أيضاً ولم يكفيها ما صنعت بالرجال (٢) والآن نجد نفس ماركس يفعل ما فعلته الرأسمالية من استخدام النساء والأطفال ، ويأبى إلا أن يضيف عليه ، فيجعل العمل اجبارياً للجميع ، ليصدق انتصاره العميق للنساء والأطفال بصورة خاصة (٣)

(١) - لقد اعتمدنا في انتقاد الرأسمالية على الاحصاءات وانتقادات ماركس في كتابه رأس المال ، ليكون القاريء على بصيرة من الواقع نظر ماركس على الرأسمالية - دون ان نكرر القول - فلتنظر الآن هل رفعت الشيوعية مظالم الرأسمالية أم أضافت عليها .

(٢) - انظر : « رأس المال » كارل ماركس ج ٢٢ ص

١٥١ - ٢٩٤ + وج ٣ ص

٥ توزيع البضائع لا النقد

تُحاول الشيوعية ان يعمل كل فرد حسب أقصى طاقاته ومواربه علا إجباريا لا يمكنه التخلف منه لحظة ، ولو واحدة ، ثم يتلقاها كفاء هذا العمل المرهق ، وهذا الاستعباد البدني ٠٠٠ من البضائع بمقدار ما يشبع حاجاته الأساسية فقط ١ .

ونحن عندما نلاحظ كتاب «رأس المال» لكارل ماركس ، بأجزائه الثلاثة ، نجد مكرسا في لعنة واحدة يصبها على الرأسمالية والرأسماليين لأنهم يسرقون من العمال فائض انتاجهم ونراهم الان يسوق المال وانتاجهم جمعا ٠٠٠

كان ماركس حاول ان يكرس في مبدئه المدام بمجموع القذارات والدنايات والسمخافات ، ويضيف اليها أفكاره التي هي شر منها جيما ، ثم لا يستحي ان ينادي بأعلى أصواته : الحرية ٠٠٠ العدالة ٠٠٠ السلام ٠٠٠ العمال ٠٠٠ الحقوق ٠٠٠ النساء ٠٠٠ الأطفال ٠٠٠ ويتباكي على الحريات المضطهدة ، والحقوق السليمة ، والبشرية التي تتلوى تحت عصا رأس المال ٠٠٠

الدولة

ان الدولة هي السلطة الموجهة لنشاطات الشعب ، وحيث إنها ملك جميع الطاقات الجباره ، تستطيع من فرض إرادتها على الشعب ، بحيث لا يشذ عنها أحد ، فإذا كانت الدولة منبعثة من صميم الشعب ، ولصالح الشعب ، وتبنت نظاماً ينسجم مع العواطف ، والغرائز ، والاتجاهات الفطرية المركزة في الإنسان ، لانحتاج إلى إعمال منزد من النشاط ، واستخدام القوة ، والعسف والأرهق .. وإنما يكفي أن تحد من نشاط المنحرفين بتوجيههم ، أو قمعهم اذا كانوا في الشذوذ وهكذا يتخلص جهاز الدولة ، الى ان تبلغ حد المراقبة على الشعب من بعيد ، كما لا تحتاج عندئذ الى السلطات التنفيذية لأن الشعب يعملون معها كعندود متى تفرسوا فيها الخير والصلاح .. ولكن يجب ان تبقى لتكون كموجه ومُؤدب للشعب ، وكحامية عن العدو . شأنها شأن راعي الغطيط الذي يحرسه من السباع ، ويرد الشاذ ، والشريد ، او كفلاح الحقل يتعهد بالسقي والتهديب ، ويطارد عنه الأصوص ... فلا بد من بقائهما ولكن بصورة بسيطة ، وتعاونة مع الشعب .. ولا يمكن القائمها مادام هناك أناس يتشاردون عن الطريق عن عمد او لاعمد .

أما إذا كانت الحكومة أجنبية مفروضة على الشعب او تبنت
نظاما جائرا تلفظه فطرة الانسان وركائزه الذاتية الاساسية ، وتحاماه
الطبائع : وتبعد عن اطاعتتها او مجاراها ، فلا بد حينئذ - لوارادت البقاء -
من استخدام صلاحيتها وامكانياتها ، واستباحة القسوة في البطش والتكميل
كي لا تكلت من يديها الزمام ، ولا يتمرد عليها الشعب بضربة قاضية
تطويها في بطون التواريخ . . .

ومهما كانت الحكومة الشيوعية ، فإنها لا تستطيع من تغيير طبيعة
الانسان ، وان تقدر على ان تحقق من الناس ملائكة ، لا يتجرأ زوف
حدودهم المرسومة لهم . . . زيادة على ان الحكومة الشيوعية أجنبية عن
غرائز الشعب وحاجاته ، ف تكون من النوع الثاني ، التي لا بد لها من
تنفيذ أقصى صلاحياتها وقوتها ، لتبقى على كيانها رغم مجــوع
الشعب . . .

فاذن لا يمكن إلغاء الدولة ، كما كان يعلم به ماركس
وأذن اباءه . . .

خاتمة

لقد تلخص - من ذلك كله - ان الشيوعية ليست إلا مجموعة

الاغلاط ، فكل بند من بنداتها خطأ مفضوح لا يمكن الغض عنه .. وانها
 مباديء اسطورية ، بعيدة عن طبيعة الانسان وواقع الحياة . . . رغم
 المحاولات القاسية ، والمحايا الكثيرة التي قدمها لينين . . . وحيث لم تكن
 هذه الفكرة منتزعه من صلب الحياة تدرعت بالدكتاتورية . . . وسلبت
 الحريات . . . وفرضت الافراد أدوات ميكانيكية بسيطة مسخرة لأنجاز
 واجباتها . . . نعم اصطدمت بالاديان . . . والاخلاق . . . والقوانين . .
 فالغتها . . . واحتكرت مصادر الاتاج والملكيات الخاصة . . . وقضت على
 العائلة .. وحاوالت تحطيم الطبقات . . . وتكلفت توزيع البضائع بنفسها
 ليكون مصير الناس وحاجاتهم طوع إرادتها . . . وهتفت باسم العمال
 وال فلاحين لتكسبهم قوة هائلة عميماء . . . وارتكتبت شئ الجرائم والمهلكات
 عليها تفاص في فرض نفسها على الشعوب ، ولكنها فشلت . . . وفشلت . . .
 فهي إذن فاشلة ! !

لهذه هي الشيوعية

التي تغري وتتعجب الكثيرين . . . والواقع ان الشيوعية لا تغري
 ولا تعجب لو عرفها الناس كم هي ولكن قادة الشيوعية بادروا الى ستر
 اخفاق الشيوعية ، وجرائمها وسيئاتها ، خلف ستار حديدي ، بصورة

فنية دقيقة ، ثم انطلقوا في الأرض : ان همروا إلى الفردوس الأعلى ، ودار السلام ، والحرية ، والسعادة ، والرخاء ، والحضارة ، والتقدم والعلم والجمال ... مستغلين في ذلك حقد الطبقة الكادحة الفقيرة على الوضع والمستثمرين ، وسرعان ما تفعل هذه المعاية المغربية مفعولها السحري ، فينضاع الفقراء السذاج إلى توجيهاتهم متجمرين ، بدافع التغيير ، أو التلوين من طعم المخنة - على أقل تقدير - حتى إذا نجحت الثورة الشيوعية انفلق ستار الحديد . ليتسع لهم فينغلق عليهم ... ومع انفلاق ستار الحديد ، يفتحون اعينهم على القوانين المروعة الرهيبة ... وسوف تشملهم حلة التطهير ، اما من اعلن نقمته على الوضع ، أو أحهم بعد ولائه للحكومة ، فسوف تطوي السجون ، ومعسكرات السخرة ، ومجاهيل سبيريا ، حسب خطورته ، وتهاهته (١)

(١) - لقد أصبح البحث أوسع من موضوع الكتاب ، وذلك بغية ان نعطي نظرة موجزة كاملة عن المبدأ الشيوعي ، ولكي لا نرتكب جريمة تجزئة الفكرة الواحدة .

﴿ يَتَبَعُ ﴾

الْإِقْتَصَادُ الْإِسْلَامِيُّ اَكْيٌ

حيث إن قطر الكتاب أصبح أضخم
مما ينسجم مع قطع الكتاب لذلك آثرنا أن
ينفرد الاقتصاد الرأسمالي والشيوعي في غلاف
وينفرد الاقتصاد الاشتراكي والاسلامي في
غلاف آخر